Theories and criticism in Arabic literature
The Third Year, Number ١١, Autumn١٤٠٢
Pp:٢٣- ٤٤

Research Paper

DOI:١٠,٢٢٠٣٤/JRAL.٢٠٢٥,٥٢٤٤٩٧,١٠٥٩

Poetic Mechanisms of Resistance in the Poetry of Sajida Al-Mousawi

Masood Bhavan Puri [١]

Haider Khalid Mohammed Al-Makdami[٢]

(Received: ٢٠٢٥,٠٥,١٨ ,Accepted: ٢٠٢٥,١١,٠٩)

Abstract

Resistance literature is a branch of literature that deals with themes such as glorifying the homeland, defending identity, war, and the call for struggle, exposing the face of violence, injustice, and the enemy, praising freedom and independence, opening bright prospects for victory, embodying the injustice suffered by the people and the basis for the sacrifices of freedom fighters, and commemorating the memory of martyrs. This research included a study of the features of resistance literature in Sajida Al-Mousawi's poetry, based on the descriptive and analytical approach. At the end of the research, we concluded that the poet Sajida Al-Mousawi was one of those who were so stunned by the war that took place in Iraq and the massive destruction that occurred that she chose to leave. We can see from her poems that she was the voice of the martyrs, the displaced, and the starving as a result of the blatant American occupation of Iraq. Through her poems, we sense the pain and wounds of the Iraqi people, delving into the depths of that pain as if witnessing the tears of mothers and the cries of prisoners, weeping over the devastation that befell the beloved land of Iraq. We also noted that the most important features of resistance literature that we discovered in her poetry are the glorification of the homeland, the defense of identity, war, the call for struggle, exposing the face of violence, injustice, and the enemy, praising freedom and independence, opening up bright prospects for victory, embodying the injustice to which the people are subjected and upon which the sacrifices of the fighters are based, and commemorating the martyrs.

Keywords: Iraq, resistance literature, Sajida Al-Mousawi.

---

١ Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Humanities, University of Religions and Denominations, Qom, Iran, Email: m.bavanpouri@urd.ac.ir (Responsible author)

٢. Master's degree, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Humanities, University of Religions and Denominations, Qom, Iran, Email: h.mekdami@yahoo.com

© **The Author(s).** **Publisher**: Kosar University

التنظيرات و النقد في الأدب العربي

السنة الثالثة، العدد ١١، خريف ١٤٠٢

صص: ٤٤-٢٣

DOI:١٠,٢٢٠٣٤/JRAL.٢٠٢٥,٥٢٤٤٩٧,١٠٥٩

آليات التشكيل الشعريّ للمقاومة في شعر ساجدة الموسوي

مسعود باوان پورى [١]

حيدر خالد محمد المكدمي [٢]

(تاريخ الوصول: ١٤٠٤,٠٢,٢٨، تاريخ القبول: ١٤٠٤,٠٨,١٨)

الملخص

إنَّ أدبَ المقاومةِ فرعٌ من الأدبِ يُعنى بموضوعاتٍ مثل تمجيدِ الوطنِ، والدفاعِ عن الهويةِ، والحربِ، والدعوةِ إلى النضالِ، وفضحِ وجهِ العنفِ والظلمِ والعدوِّ، ومدحِ الحريةِ والاستقلالِ، وفتحِ آفاقِ النصرِ المشرقةِ، وتجسيدِ الظلمِ الذي يتعرّضُ له الشعبُ وتقومُ على أساسِه تضحياتُ المناضلينَ، وإحياءِ ذكرى الشهداءِ. وقد تضمّنَ هذا البحثُ دراسةَ ملامحِ أدبِ المقاومةِ في شعرِ الشاعرةِ العراقيةِ ساجدةَ الموسوي، بناءً على المنهجِ الوصفيِّ التحليليِّ. وقد استنتجنا في نهايةِ البحثِ أنَّ الشاعرةَ من اللواتي أذهلتهنّ الحربُ التي جرت على أرضِ العراقَ، وحجمُ الدمارِ الهائلِ الذي حصلَ، فآثرتِ الرحيلَ. ونستطيعُ أن نرى من خلالِ قصائدِها أنّها كانت لسانَ حالِ الشهداءِ والمشرّدينَ والجياعِ نتيجةَ الاحتلالِ الأمريكيِّ السافرِ لأرضِ العراقَ، ونتلمّسُ من خلالِ قصائدِها آلامَ وجراحَ الشعبِ العراقيِّ، فتدخلُ إلى أعماقِ ذلك الألمِ كأنّك تشاهدُ دموعَ الأمهاتِ وصرخاتِ الأسرى وتبكي للخرابِ الذي حلَّ بأرضِ العراقِ الحبيبِ. كما لاحظنا أنَّ أهمَّ ملامحِ أدبِ المقاومةِ التي توصّلنا إليها في شعرِها هي تمجيدُ الوطنِ، والدفاعُ عن الهويةِ، والحربُ، والدعوةُ إلى النضالِ، وفضحُ وجهِ العنفِ والظلمِ والعدوِّ، ومدحُ الحريةِ والاستقلالِ، وفتحُ آفاقِ النصرِ المشرقةِ، وتجسيدُ الظلمِ الذي يتعرّضُ له الشعبُ وتقومُ على أساسِه تضحياتُ المناضلينَ، وإحياءُ ذكرى الشهداءِ.

الكلمات المفتاحيّة: العراق، أدب المقاومة، ساجدة الموسوي.

---

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران، البريد الإلكتروني: m.bavanpouri@urd.ac.ir (المؤلف المسؤول)

٢. ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران، البريد الإلكتروني: h.mekdami@yahoo.com

© حق مولف نويسندگان **ناشر:** دانشگاه كوثر

١. المقدمة

يُعَدُّ الأدبُ المقاومُ من أبرزِ الظواهرِ الحضاريّةِ في الثقافةِ العربيّةِ الحديثة، إذ يُمثّلُ صوتَ الأمّةِ في مواجهتِها للتحدّياتِ السياسيّةِ والاجتماعيّةِ الّتي تُهدِّدُ وجودَها وهويّتَها. هذا الأدبُ لا يقتصرُ على تصويرِ المعاناةِ فحسب، بل يسعى إلى تحفيزِ الوعيِ الجمعيِّ وإعادةِ بناءِ الإنسانِ المقهورِ عبر لغةٍ مشحونةٍ بالقيمِ الوطنيّةِ والإنسانيّة. وتنبعُ أهمّيّتُه من قدرتِه على تحويلِ الكلمةِ إلى فعلٍ مقاومٍ، وعلى جعلِ القصيدةِ أو الروايةِ ميدانا للنضالِ الفكريّ والأخلاقيّ، حيثُ يُصبحُ النصُّ أداةً لإحياءِ الذاكرةِ الجماعيّةِ وتأكيدِ انتماءِ الإنسانِ إلى أرضِه وقضيّتِه العادلة.

«المقاومةُ عندَ العربِ تعبيرٌ عن إرادةِ الحياةِ والطموحِ في تحقيقِ حضورٍ حرٍّ ومستقلٍّ وفاعلٍ، فهي ليست حالةً وقتيّةً، وإنّما مبدأٌ حياتيٌّ أصيلٌ في عقلِ و وجدانِ الإنسانِ، و هي بالتالي مبدأٌ قائمٌ على تعشّقِ الحريةِ و إثباتِ الحضورِ والفاعليةِ، وردِّ العدوانِ، والتعاملِ مع الآخرِ بإخاءٍ وندّيّةٍ» (حلواني، ٢٠٠٥: ٢١٤). والمقاومةُ ذاتُ معانٍ وتعابيرَ مختلفةٍ، وأهمُّ تعريفٍ لها هو أنّ «المقاومةَ هي الوقوفُ في وجهِ الظلمِ، سواءٌ أكانَ مصدرُه داخلياً أم خارجياً» (لقان، ٢٠٠٧: ٦٢).

المقاومةُ عندَ العربِ كانت موجودةً منذُ العصورِ السابقة، فقد كانَ الشاعرُ العربيُّ قديماً لسانَ قومِه في الدفاعِ عنهم، فنذكرُ منهم شعراءَ الحماسةِ في الجاهليةِ وأثرَهم في الشعرِ العربيّ. إنّ الشاعرَ رسولُ الدفاعِ عن الأرضِ وإنسانِها، وهناكَ شعراءٌ حملوا رايةَ المقاومةِ على الصعيدِ العالميّ وساهموا في دحرِ الاحتلالِ والزودِ عن أوطانِهم وكرامةِ شعوبِهم، ولا شكَّ أنَّ الشعرَ من المظاهرِ العظيمةِ التي تستنهضُ همَ الشعوبِ ضدَّ إرادةِ الطغاةِ الذينَ لا يعرفونَ إلا القمعَ والكبتَ.

لذلك، فإنَّ صورَ المقاومةِ في الأدبِ العربيِّ والثقافةِ العربيّةِ ذاتُ جذورٍ عميقةٍ، بأشكالٍ وتعبيراتٍ مختلفةٍ، وفي نصوصٍ متعدّدةٍ من شعرٍ ونثرٍ، تعبّرُ كلُّها عن الاعتزازِ بالأمّةِ واستنهاضِ هِمَمِ وقوّةِ شبابِها للدفاعِ عن الوطنِ ومكانتِه في الحياة.

ومن أهمِّ مصادرِ شعرِ المقاومةِ أنّه موجودٌ في الأدبِ العربيِّ المعاصرِ في العراق، واليومَ فإنَّ أدبَ المقاومةِ في العراقِ وشعرَهُ له مكانةٌ رفيعةٌ في البلدانِ العربيّةِ، بسببِ مواجهةِ الأزماتِ والتحدّياتِ المختلفةِ، وتذوّقِ ظلمِ الاستعمارِ والحروبِ وجرائمِ الديكتاتوريّةِ والاحتلالِ الأجنبيّ من أمثالِ أمريكا وبريطانيا، وما خلّفته من مراراتٍ عديدةٍ؛ والشعراءُ العربُ منذُ القدمِ يدافعونَ بشعرِهم عن اهتماماتِ قومِهم في ظلِّ المقاومةِ، وهذا الدفاعُ والكفاحُ مستمرّانِ في العصرِ الحديث. ولذلك كتبَ الشعراءُ العراقيّونَ المعاصرونَ العديدَ من القصائدِ للدفاعِ عن وطنِهم وشعبِهم وإيقاظِ أمّتهم.

ساجدةُ حميدُ حسنِ الموسوي (١٩٥٠م) شاعرةٌ عراقيّةٌ وُلدت في بغدادَ ومقيمةٌ في الإماراتِ العربيّةِ المتّحدة، ولها أشعارٌ متميّزةٌ في أدبِ المقاومةِ، وقد أصدرت ستَّ عشرةَ مجموعةً شعريّةً تناولت فيها حالَ بلدِها وأوجاعَه وآلامَه. لذلك يوجدُ في قصائدِها كثيرٌ من ملامحِ الأدبِ المقاومِ، وترسمُ الشاعرةُ كلَّ قضايا شعبِها والظروفِ الصعبةِ التي يعيشُها مواطنوها أمامَ الاحتلالِ.

ينطلقُ هذا البحثُ من السؤالِ الرئيسِ الآتي:

ما ملامحُ أدبِ المقاومةِ في شعرِ ساجدةَ الموسوي؟

و تتفرّعُ عن هذا السؤالِ الرئيسِ الأسئلةُ الفرعيّةُ الآتيةُ:

كيف تجسّدت ملامحُ المقاومةِ في شعرِ ساجدةَ الموسوي؟

على ماذا اعتمدت الشاعرةُ في الوصفِ والتعبيرِ عن ألمِ الشعبِ العراقيّ؟

١-١. الدراسات السابقة

في مجال شعر وآثار الشاعرة العراقية ساجدة الموسوي لا توجد دراسة علميّة سابقة تتناول شعرها على نحو شامل أو تُعنى بتتبّع ملامح أدب المقاومة في نتاجها الشعري، وقد حاول الباحثان ضمن هذا البحث أن يشيرا إلى أهمّ الدراسات السابقة في ميدان أدب المقاومة بشكل عام، ومنها:

أوّلا: سردار أصلاني ومحسن غلامحسين كَهوري، مظاهر أدب المقاومة في شعر بشرى البستاني، فصليّة اللسان المبين، العدد الثالث والعشرون، ١٣٩٥هـ ش. تركّز هذه الدراسة بعد نظرةٍ خاطفةٍ على حياة الشاعرة بشرى البستاني على أهمّ مضامين أدب المقاومة في شعرها التي كان لها حضور بارز، مثل الحبّ للأرض الأمّ، والاستنهاض إلى المقاومة، والحثّ على الجهاد، والالتزام القوميّ، وحبّ البلدان العربيّة، والإشادة بالمقاتلين والشهداء، وإدانة الأنظمة الظالمة وحكّام العرب.

ثانيا: فادية المليح حلواني، تجلّيات ثقافة المقاومة في الشعر العربي المعاصر، العدد الثامن، مجلة العلوم الإنسانيّة – جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠٠٥م. يستعرض هذا البحث تجلّيات ثقافة المقاومة في الشعر العربيّ المعاصر، ولبوس فكر المقاومة في الأشكال الشعريّة المختلفة، بحيث لا يبتعد الشاعر عن مشاعر الأمة و المجتمع تجاه الواقع المعاش الذي أصبح فيه الشعر احتفالا غامرا بالحياة الطالعة من الموت والاحتلال، ومبشّرا بحياةٍ جديدةٍ فيها التحرير والحرية والوحدة. وتتناول الباحثة صور المقاومة في التاريخ والثقافة العربيّة ذات الجذور العميقة في هذه الثقافة، ولها أشكالٌ متنوّعةٌ من التعبير شعرا ونثرا، تعبر كلّها عن الاعتزاز بالأمّة واستنهاض همّتها وقوّتها وتأكيد وجودها ومكانتها في الحياة.

ثالثا: زهرا هاشمي تَزَنكِي، محمدجواد پورعابد وموسى عربي، تجلّيات المقاومة في شعر عبدالرحمن يوسف (دراسة في المضمون والأسلوب)، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ١٥، العدد ٢، ١٤٤٠هـ. حاولت هذه الدراسة – بمنهجٍ وصفيٍّ تحليليٍّ – رصد البعدين السياسيّ و الاقتصاديّ في شعر عبدالرحمن يوسف بأبرز جوانبهما، واستنتج الباحثون أنّ في شعره موضوعاتٍ محدّدة، منها المقاومة السياسيّة التي تجلّت في الاعتزاز بالوطن، والدعوة إلى النهوض والصحوة، والتنديد بالعبوديّة، والدعوة إلى الثورة على الهيمنة، ومنح الثوّار الحسّ بالأمل بمستقبلٍ أفضل، والمقاومة الاقتصاديّة التي ظهرت في الكشف عن نهب الوطن وإتلاف ثرواته، والفقر والتفاوت الطبقيّ والبطالة. كما سعت الدراسة إلى إيضاح الجانب الفنيّ والجماليّ، فركّزت على البنية اللغويّة والدلاليّة التي اعتمدها الشاعر في تحريض الشعب على المقاومة، وانتهت إلى أن الشاعر يميل إلى استعمال التركيب البسيط بحيث لا نجد صوراً بعيدة المنال أو صعبة التركيب.

رابعا: صابرة سياوشي وأمينة سلطاني، تحليل عناصر المقاومة في شعر الربيع بوشامة وسيد حسن حسيني، دراسات الأدب المعاصر، السنة العاشرة، العدد السابع والثلاثون، (١٣٩٧هـ ش). يقوم هذا البحث بدراسةٍ مقارنةٍ لعنصر المقاومة في شعر الشاعر الجزائريّ الربيع بوشامة والشاعر الإيرانيّ سيد حسن حسيني، ويكشف عن زوايا أدب المقاومة في شعرهما بتحليل النماذج الشعريّة وفق المنهج الوصفيّ التحليليّ، فالدعوة إلى الثورة والنضال، وتكريم الشهادة والشهيد، والأمل بالحرية، وفضح الطغاة والتحدّي لهم من أهمّ عناصر المقاومة في شعرهما. ويصوّر الشاعران ترهيب العدوّ بالتعبير عن صمود الشعب وكفاحه وتفانيه في سبيل الوطن وحبّه لبلاده.

خامسا: تماني سالم محمد أبو صلاح وعبدالخالق العف، الشعر الفلسطينيّ المقاوم في القرن الواحد والعشرين (٢٠٠٠-٢٠١٥) دراسة تحليليّة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة – غزّة، (٢٠١٦م). تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على دور الشعراء الفلسطينيين في تنمية الأدب الفلسطينيّ في الفترة ما بين (٢٠٠٠م و٢٠١٥م)، و ذلك من خلال الآثار الشعوريّة الناتجة عن الحروب والانتفاضات المتتالية والنهب المستمرّ للأرض والوطن والمواطن، إضافةً إلى الكشف عن الدوافع والاعتداءات التي تواجه الشعر المقاوم في فلسطين وسبل الحدّ من تلك المعوّقات.

و بخصوص الدراسات السابقة في شعر ساجدة الموسوي، ففي حدود اطّلاع الباحثَيْن لا توجد أيّ دراساتٍ أو أطروحاتٍ علميّةٍ تتناول مجمل ما كُتب عن هذا الموضوع، و إن وجدت فهي قد درست جزئياتٍ بسيطةً في قصيدةٍ معيّنةٍ أو مقابلاتٍ أجريت مع الشاعرة. و نشير هنا إلى دراسة «صدى احتلال بغداد عام (٢٠٠٣م) في الأدب العربي» للباحث هارون سعيد شحادة، ودراسة «العدوان على العراق في الشعر العربيّ المعاصر» للباحث إبراهيم محمد منصور، وإلى بعض المقابلات المنشورة في مجلاتٍ مختلفة، مثل مجلة الموقف الأدبي عام (٢٠١٠م)، و مجلة الرافد عام (٢٠٢١م)، و مجلة ديوان العرب بقلم الكاتب محمد السموري.

١-٢. تعريف أدب المقاومة

تُستخدم كلمة المقاومة في اللغة العربيّة بصيغة مصدرٍ على وزن مفاعلة، وتعني مواجهةَ السلطةِ والصمودَ والوقوفَ في وجهِ العدوّ، وعدمَ الاستسلامِ أمامَ نواياه، وهي – بصورةٍ عامّةٍ – تعني التمرّدَ على العواملِ التي لا تتوافقُ مع العدالةِ. كما تُستعمل هذه الكلمةُ بمعانٍ مثل التمرّدِ والفوضى والثورةِ.

إنَّ أدبَ المقاومةِ فرعٌ ملتزمٌ من فروعِ الأدبِ لا تُملي محتواه مصالحُ و متطلّباتُ النظامِ الحاكم، و يعبَّر عنه بلغةٍ واضحةٍ ومنفتحةٍ، دون التأكيدِ على الابتكارِ في مجالاتِ الخيالِ. و بناءً على هذا التعريفِ يمكنُ القولُ إنَّ أدبَ المقاومةِ ينبغي أن يكونَ هادفا وتربويّا، وأن يسعى إلى نقلِ رسالةٍ أو إثارةِ موضوعٍ يرمي إليه الشاعرُ وتعليمِ جمهورِه كيفيّةَ النهوضِ في وجهِ الأنظمةِ الاستبداديّةِ والقمعيّةِ (عطية، ١٩٧٧، ١: ١٠٦).

و من المعلوم أنّ الالتزامَ يتناولُ الجانبَ الفكريَّ من الأعمالِ الأدبيّةِ، و يتجلّى في الموقفِ الذي يتّخذه الأديبُ ممّا يجري حوله، ثمّ في ترجمةِ هذا الموقفِ إلى عملٍ يمسّ واقعَ الحياةِ مسّا مباشرا لتغييرِ ما ليسَ سليما فيها (جدوع، ٢٠١٢: ١٣).

لذلك، يُشارُ عادةً – من منظورِ أدبِ المقاومة – إلى الأعمالِ التي أُلِّفت تحتَ تأثيرِ ظروفٍ مثل القمعِ الداخليّ والاستبدادِ، وفقدانِ الحريّاتِ الفرديّةِ والاجتماعيّةِ، والخروجِ على القانونِ، والصراعِ مع قواعدِ السلطةِ، واغتصابِ السلطةِ، و الأراضي، ورؤوسِ الأموالِ الوطنيّةِ والفرديّة. إنَّ وجودَ هذا الشعورِ العميقِ يدفعُ إلى الوعيِ بأنَّ استمرارَ الهيمنةِ يصبحُ غيرَ معقولٍ، ويغدو من الضروريّ تغييرُهُ تغييرا تامّا، ولكن لكي تكونَ القصيدةُ المقاومةُ فعّالةً، يجبُ بذلُ جهدٍ كبيرٍ لإحداثِ التغييرِ، وينبغي أن تكونَ القصيدةُ مُسلّحةً بنظريّةٍ ثوريّةٍ ذاتِ محتوى اجتماعيّ (داغستاني، ٢٠١٠: ٦٦).

و يُعرّفُ أدبُ المقاومة بأنّه الأدبُ الداعي إلى الحرّيةِ و التخلّصِ من العبوديّة، فعلى مدى الأجيالِ كان الأدبُ أكثرَ الفنونِ التصاقا بالثوراتِ، و أقواها جميعا في التعبيرِ عنها، وما من ثورةٍ عرفها التاريخُ إلّا كان الأدبُ هو الممهّدَ لها، بالخطبةِ والقصيدةِ، وبالمقالِ والقصةِ والروايةِ، وما إليها، ثمّ كان بعد قيامِها هو الداعي والمروّجَ لمبادئها، والمدافعَ عنها ضدَّ مناهضاتِ الخصومِ والأعداءِ، فإذا استقرَّ أمرُها كان الأدبُ هو الراصدَ لمسيرتِها، والمسجّلَ لخطواتِها، والمعبّرَ باستمرارٍ عن تأييدِ المجتمعِ لها (سليماني، ٢٠١٠: ٧٤).

و قد استُخدِمت كلمةُ المقاومةِ مرّاتٍ عديدةً في التاريخِ القديمِ والمعاصرِ لوصفِ الثوراتِ في البلدانِ التي تعرّضت لاعتداءِ الغزاةِ والهجومِ العسكريّ، وجنبا إلى جنبٍ مع هذا المفهومِ لكلمةِ المقاومةِ، ترسّخَ مفهومُها الثقافيُّ أيضا، كما وُصفت أدبيّاتُ مقاومةِ الأممِ بهذا المفهومِ، و بالإضافةِ إلى الشعرِ والنثرِ فهي متجذّرةٌ في أعماقِ تاريخِ العصرِ الحاليّ، أيْ التاريخِ الذي نشهدهُ بأنفسنا، وليس فقط في التاريخِ الذي يكتبهُ المؤرّخون (الخطيب، ٢٠٠٩: ٦٥).

١-٣. لمحة عن الشاعرة ساجدة الموسوي

ساجدةُ حميدُ حسنِ الموسوي (مواليد ١٩٥٠م) شاعرةٌ عراقيّةٌ مقيمةٌ في الإماراتِ العربيّة المتّحدة. وُلدت في بغدادَ، ودرست فيها وتخرّجت من جامعتها بشهادةِ الإجازةِ في الآدابِ عامَ (١٩٧٥م)، وعملت موظّفةً في المركزِ الثقافيِّ العراقيِّ في لندنَ عامَ (١٩٨٩م) لمدّةِ أربعِ سنواتٍ. وانتُخبت لأكثرَ من دورةٍ لعضويّةِ المجلسِ المركزيّ للاتحادِ العامِّ للأدباءِ والكتّابِ في العراق، ولعضويّةِ مجلسِ إدارةِ نقابةِ الصحفيّينَ العراقيّين، كما كانت عضوا في المكتبِ التنفيذيِّ للاتحادِ العامِّ لنساءِ العراق، وتولّت منصبَ مديرةِ تحريرِ مجلّةِ المرأةِ عدّةَ سنواتٍ، ثمّ عُيّنت في وزارةِ الثقافةِ و الإعلامِ (عطوات، ١٩٩٨، ١: ٦٣).

تنقّلت ساجدةُ بين سوريا وليبيا بعد خروجِها من العراق، وصولا إلى الإقامةِ في دولةِ الإماراتِ منذ عشرِ سنواتٍ، حيثُ رحّب بها الوسطُ الثقافيُّ والأدبيّ وبدأت بنشرِ مقالاتِها وقصائدِها، ثمّ نالت عضويّةَ اتحادِ كتّابٍ وأدباءَ الإمارات، وشاركت بالقراءةِ في المنابرِ الثقافيّةِ (الموسوي، ٢٠٢١).

و قد أصدرت الموسوي ستَّ عشرةَ مجموعةً شعريّةً، ومؤخرا صدرت لها الطبعـــةُ الثانيةُ من «بكيتُ العراق» التي تناولت فيها حالَ بلدِها وأوجاعَه. تقولُ بهذا الصددِ: «ما الذي على الشاعرة أن تقولهُ بعد احتلالِ وطنِها وخروجِها منه مجرّدةً من وظيفتِها وبيتِها وأهلِها والوطنِ الذي تحبّه؟ ما الوعاءُ الذي يستوعبُ كلَّ ذلكَ الهمِّ الثقيلِ وتلكَ الدموعِ وذلكَ الأسى وتلكَ الأشجانِ المزروعةِ في قرارةِ قلبِها غيرَ الشعرِ؟ فديواني

الثانيَ عشرَ «بكيتُ العراق»، الذي صدرَ في الإماراتِ عامَ (٢٠١٢)، ضمَّ باقةً من قصائدِ الحنينِ إلى العراقِ وتوثيقِ ما جرى، إضافةً إلى قصائدَ وجدانيّةٍ أخرى، ولنفادِ الطبعةِ الأولى أعدتُ طباعتَه هذا العام» (المصدرُ نفسه).

أما أهمُّ أعمالِها فهي: طفلةُ النخل، صدرَ بطبعتين: الأولى في بغدادَ (١٩٧٩م)، والثانية في بيروتَ (١٩٨١م)؛ هوى النخل، بغدادَ، (١٩٨٣م)؛ الطلع، بغدادَ، (١٩٨٦م)؛ عند نبع القمر، بغدادَ، (١٩٨٧م)؛ البابليات، بغدادَ، (١٩٨٩م)؛ قمرٌ فوقَ الجسرِ المعلّق، عمّانَ، (١٩٩٢م)؛ شهقات، بغدادَ، (١٩٩٦م)؛ السرى لسهيل، بغدادَ، (٢٠٠٠م)؛ رسائلُ إلى سكّانِ الأرض، مختاراتٌ مترجمةٌ إلى الإنكليزيّة، صدرت بطبعتين: الأولى في نيويوركَ (٢٠٠٠م)، والثانية في بغدادَ (٢٠٠٢م)؛ هديلُ اليمام، مختاراتٌ شعريّة، دمشقَ، (٢٠٠٤م)؛ تباريحُ سومريّة، دمشقَ، (٢٠٠٤م)؛ وويبقى العراق، دمشقَ، (٢٠٠٦م).

٢. البحث الرئيس

٢-١. الوطنُ كمنظومةٍ رمزيّةٍ وجماليةٍ

أصبح الوطنُ و الأرضُ في شعرِ شعراءِ المقاومةِ تدريجيّا مفهوما ضربَ جذورَهُ في أدبِ المقاومةِ بصورةٍ تشكّلتْ معها الهويّةُ الفنيّةُ و الشعريّةُ لهؤلاء الشعراء، وأضحى معناهما أعمقَ بكثيرٍ من التعريفاتِ السياسيّةِ الشائعة. إنَّ تبعيّةَ الإنسانِ وانتماءَهُ للوطنِ تُسهمُ في تكوينِ الشعورِ بالوطنيّةِ وحبِّ الأرضِ ومكانِ ميلادِ الأبِ والأمِّ، ومن ناحيةٍ أخرى توفّرُ لهُ حقَّ المواطنةِ والجنسية. يحاولُ البشرُ تعريفَ أنفسهم من خلالِ الإحساسِ بالوطنِ ويعتبرونهُ مصدرَ هويّتهم (أدونيس، ١٩٩٦، ١: ٧٨).

يُعَدّ الوطنُ أحدَ الملامحِ الرئيسةِ في أدبِ المقاومة، فهو يُشكّلُ جزءا مهمّا من تلكَ الأعمالِ الأدبيّةِ التي تنشدُ الحرّيةَ والعدالةَ وتحاولُ تسليطَ الضوءِ على القضايا الاجتماعيّةِ والسياسيّةِ والثقافيّةِ التي تُؤثّرُ في المجتمعات. يترسَّخُ مفهومُ الوطنِ في قلوبِ وعقولِ الكتّابِ والشعراءِ والروائيّينَ الذين يسعونَ إلى إظهارِ حبِّهم وانتمائهم وولائهم لأوطانهم من خلالِ أعمالهم الأدبيّة (زعرب، ٢٠٠٨: ٤٤).

يُعَدّ أدبُ المقاومةِ تعبيرا عن المعاناةِ والصراعِ الذي يواجهُهُ الأفرادُ والشعوبُ في مواجهةِ الاستعمارِ و الاحتلالِ والقمعِ. و في هذا السياقِ يتحوّلُ الوطنُ إلى رمزٍ للنضالِ والتحرّر، ويُعبّرُ عن رغبةِ الكتّابِ في إحداثِ التغييرِ وتحقيقِ العدالةِ الاجتماعيّة. يتمّ تصويرُ الوطنِ في أدبِ المقاومةِ على أنّه موطنُ الأرضِ والعائلةِ والثقافةِ والهويّة، ومكانُ التمسّكِ بالقيمِ والتقاليدِ والتاريخِ (درويش، ١٩٧١، ١: ١١٩).

يستخدمُ الكتّابُ في أدبِ المقاومةِ اللغةَ والصورَ الشاعريّةَ والرمزيّةَ لنقلِ تجربتهم ورؤيتهم للوطنِ، حيثُ يُعبّرونَ عن العواطفِ والأحاسيسِ القويّةِ المرتبطةِ بالوطنِ، مثلَ الحنينِ والغضبِ والفخرِ والألم. ويُبرزُ الشعراءُ والروائيّونَ تضحياتِ الشعبِ وصمودَهُ في وجهِ الاستبدادِ، ويسلّطونَ الضوءَ على المعاناةِ والظلمِ الذي يتعرّضُ لهُ الأفرادُ والمجتمعاتُ في مسيرتهم (مهدي، ١٩٨٨، ١: ١٢٩).

و من خلالِ الأبياتِ التالية نرى كيفَ تعبّرُ الشاعرةُ ساجدةُ الموسوي عن التجربةِ الشخصيّةِ والعواطفِ في سياقِ أوجاعِ الوطنِ والمقاومة، مستخدمةً مجموعةً من المفرداتِ والصورِ الشعريّةِ لنقلِ معاني الشوقِ والصمودِ والحنينِ إلى الوطنِ، وهذا يعكسُ تجلّياتِ أدبِ المقاومةِ التي تسعى

لإبرازِ تجاربِ النضالِ والصمودِ: ذبولٌ ... نحولٌ/ وفي المقلتينِ اشتياقٌ/ حنينٌ يذيبُ الحشا/ وحشةٌ لا تُطاقُ/ أيُّ حبٍّ تُرى حلَّ فيكِ/ فأرخي يديكِ/ وشدّي الوثاقَ؟/ تولولُ حوليَ الرياحُ/ وتنشجُ في وله واحتراقٍ (الموسوي، ٢٠٠٦: ١٥).

تُستخدمُ الكلمتانِ «ذبول» و«نحول» للإشارةِ إلى الحالةِ السيّئةِ والتغيّرِ التحوليّ اللذين قد يُمثّلانِ رمزا لوضعِ الوطنِ تحتَ الاحتلالِ أو التهديدِ، إذْ يمكنُ أن يُمثّلَ ‘‘ذبول’’ تدهورَ الحالةِ الوطنيّةَ و"نحول" تحوّلَها. وتستعملُ الشاعرةُ مصطلحاتٍ تعبّرُ عن الشوقِ والحنينِ إلى الوطنِ، وهي مشاعرُ تجعلها قريبةً من تجربةِ الأفرادِ الذين فقدوا أوطانَهم أو عاشوا في ظروفٍ قاسيةٍ. ويُستعملُ هذا الوصفُ الشعريُّ لإظهارِ التغيّراتِ و العواصفِ التي تُؤثّرُ في الحالةِ الشخصيّةِ والوطنيّةِ؛ فقد ترمزُ ‘‘الرياحُ’’ إلى التحدّياتِ والمصاعبِ التي تُحيطُ بالوطنِ، و"تنشجُ في وله" إلى القلقِ والتوتّرِ، أمّا ‘‘الاحتراقُ’’ فيُمكنُ أن يُمثّلَ الاندفاعَ والتفانيَ في التصدي لتلكَ التحدّياتِ.

لقد فضحتْ الحربُ على العراقَ أمرا كانَ مستورا، فها هي ساجدةُ الموسوي، شاعرةُ المقاومةِ العراقيّةِ ولسانُ حالِ الشهداءِ والمشرّدينَ والثكالى والجياعِ، تلكَ النخلةُ البابليّةُ السمراءُ، غائرةُ العينينِ المكحولتينِ، سألتها النساءُ عن الأثمدِ الذي في عينيها، فقالتْ: مشطتُ شعري/ بريحِ بلادي/ تعطّرتْ بالطلعِ/ وأغمضتْ عيني/ فأصبحتْ مكحولةً بالهوى والندى والعناقِ/ كانتِ الريحُ مِشطِي وكَحْلي العراقُ (المصدرُ نفسه: ١٩).

تعكسُ هذه الأبياتُ العزّةَ والكرامةَ اللتين يمنحُهما الوطنُ لأبنائه، حيثُ تصفُ ساجدةُ نفسَها ومعاناةَ الشعبِ العراقيِّ بأنهمْ شعوريّا يشعرونَ بالفخرِ والعزّةِ بانتمائهم للوطنِ والمقاومةِ. تُظهرُ الأبياتُ الانتماءَ القويَّ للشاعرةِ وللشعبِ العراقيِّ لوطنهمْ، إذْ تصفُ نفسها بأنّها شاعرةُ المقاومةِ العراقيّةِ ولسانُ حالِ الشهداءِ والمشرّدينَ والثكالى والجياعِ، ويعكسُ هذا الانتماءُ والهويّةُ الوطنيّةُ تمسّكا قويّا بالأرضِ والشعبِ والتضحيةِ من أجلهم. وتستخدمُ الشاعرةُ صورا جماليّةً مشبعةً بالألوانِ لوصفِ وطنِها، مثلَ «النخلة البابليّة السمراء» و«العينين المكحولتين»، وهي صورٌ ترمزُ إلى الجمالِ الطبيعيِّ والثقافيِّ للعراقِ وتعكسُ الترابطَ الوثيقَ بينَ الشاعرةِ والأرضِ والهويّةِ الوطنيّةِ. وبشكلٍ عامٍّ، تتجلّى مظاهرُ أدبِ المقاومةِ في تعبيرِها عن العزّةِ والكرامةِ والانتماءِ والهويةِ الوطنيّةِ، وتسليطِ الضوءِ على معاناةِ الشعبِ والتضحياتِ التي يُقدّمها من أجلِ الوطنِ، ممّا يُجسّدُ روحَ الصمودِ في وجهِ الظروفِ القاسيةِ، ويعزّزُ الوعيَ الوطنيَّ ويحثُّ على الحفاظِ على الهويّةِ والقيمِ الوطنيّةِ.

٢-٢. الهويةُ الوطنيّةُ بوصفِها مرتكزا جماليّا و تأويليّا في شعرِ الشاعرة

يمكننا القولُ في هذا السياق إنَّ تفسيرَ أدبِ المقاومةِ يستندُ إلى مفهومِ الهويةِ ويُعنى بإنشائها والحفاظِ عليها، إذ تُعدّ الهويةُ عاملا أساسا في تمييزِ الذاتِ عن الآخرين، فهي مسألةُ تعريفِ الذاتِ وتمييزِها عن الذواتِ الأخرى. ويُقالُ إنَّ الأدبَ يُعبّرُ عن الهويةِ الوطنيّةِ، والأدبُ هو تربيةُ البشرِ، وهذا القولُ يبدو صحيحا، ولذلك ترتبطُ علاقةُ الأدبِ ارتباطا وثيقا بأدبِ الثوراتِ، ويُصنّفُ أدبُ المقاومةِ في التقسيمِ الثلاثيِّ ضمنَ زمرةِ الأدبِ الإيثاريّ، وقد تجلّى هذا الأدبُ في كثيرٍ من النضالاتِ والثوراتِ. فالهويةُ تُعدُّ من الملامحِ الأساسيّةِ في أدبِ المقاومةِ، إذْ تعكسُ الانتماءَ الثقافيَّ والاجتماعيَّ والسياسيَّ للفردِ والشعبِ، ويسعى الكتّابُ والشعراءُ فيه إلى استعادةِ وتعزيزِ الهويةِ المستباحةِ أو المهمومةِ بسببِ ظروفٍ قاسيةٍ كالاحتلالِ والقمعِ (صقر، ١٩٥٥: ٣٦).

لقد كان للتراث العربيِّ دورٌ مهمٌّ في تشكيلِ الهويةِ الوطنيّةِ للشعبِ العربيِّ في جميعِ أماكنِ وجوده، وكانَ لهُ أثرٌ كبيرٌ في تعميقِ الشعورِ بالانتماءِ للوطنِ والتاريخِ المشتركِ الذي يتمثّلُ في وحدةِ العاداتِ والتقاليدِ والفنونِ والحكاياتِ والأزياءِ الشعبيّةِ التي تنتقلُ من جيلٍ إلى جيلٍ، لكنّ التراثَ العربيَّ بما فيه التراثُ الفلسطينيُّ تعرّضَ لسياسةٍ ممنهجةٍ من قِبلِ مختلفِ الطغاةِ، بمن فيهم الاحتلالُ الإسرائيليّ، بهدفِ تدميرِ البنيةِ الاجتماعيّةِ والثقافيّةِ للمجتمعِ العربيّ حتى يفقدَ تماسكَهُ وقدرتَهُ على المواجهةِ والدفاعِ عن أرضِه (الفاخوري، ١٤٢٢، ١: ١٨٧).

وتعتزُّ ساجدةُ الموسوي بانتمائِها إلى بغدادَ ميلادا ونشأةً، كما تعتزّ بتسميتها نخلةَ العراق لما تمثّلُهُ النخلةُ من أطيافٍ ورؤى وتعبيرٍ عن الهويةِ العراقيّة، وتعتزّ كذلك بكونِها واحدةً من بينِ ستِّ شاعراتٍ عربياتٍ حظينَ بمرتبةِ أبرزِ شاعراتِ الوطنِ العربيِّ في استطلاعِ رأيٍ أجرته وكالةُ أنباءِ الشعرِ العربيِّ، وأخيرًا تعتزُّ ساجدةُ بأنّها من أغزرِ شاعراتِ العراقِ عطاءً وإبداعا، بعد أن أصدرت أربعةَ عشرَ ديوانا وشاركتْ بقلمِها في المجالينِ الثقافيِّ والاجتماعيِّ على صفحاتِ الصحافةِ العراقيّةِ والعربيّةِ، وفي العديدِ من المهرجاناتِ والملتقياتِ الشعريةِ والثقافيةِ العربيّةِ (درويش، ١٩٧١، ١: ١٢١).

ولهذا، فإنّ للهويةِ العراقيّةِ أهميةً خاصّةً في شعرِها. ففي ديوانِها الأحدثِ «بكيتُ العراق» الذي صدرَ لها العامَ الماضي، تكتملُ دورتُها الشعريّةُ الحافلةُ، وتبكي – ومعها قصائدُها – بقسوةِ الشتاتِ العراقيِّ الذي تعيشُهُ والذي يتسعُ مداهُ ويشتدُّ عنفُ مشاهدِه، ليصبحَ شتاتا عربيا متجسِّدا في أكثرَ من بلدٍ عربيّ. ويغدو بكاؤُها العراقَ دمعةً تنسكبُ من شاعرةٍ مرهفةِ الحسِّ صادقةِ الوجدانِ، منذُ كانت دمعةُ مالكِ بنِ الريبِ التي وضعتْها في مستهلِّ ديوانِها الرابعَ عشر: تذكَّرتُ مَن يبكي عليَّ فلم أجدْ/ سوى السيفِ والرمحِ الرديني باكيًا/ وأشقرَ عسّالٍ يجرُّ عنانَهُ/ إلى الماءِ لم يتركْ لهُ الدهرُ ساقيًا (الموسوي، ٢٠١٠: ٥٤).

تشكلُ البنيةُ المعرفيّةُ والاجتماعيّةُ والثقافيّةُ أثرًا في طريقةِ تعبيرِ الشاعرةِ عن رؤاها، فهي تشتغلُ على الوعي باعتبارِه مرجعا للظاهرةِ الجماليّةِ التي تفتحُ أمامَ التأويلِ مجالا واسعا يؤسّسُ للتداخلِ بينَ مجالاتِ المعرفةِ الإنسانيّةِ، فتدخلُ الأسطورةُ والتراثُ في وعيِها الكامنِ أثناءَ بناءِ نصوصِها، ومن هنا تتشكّلُ مفرداتُ الرؤيةِ الكلّيةِ في قصيدةِ «وأبقى أحبّك» التي ضمّها ديوانُها «تباريحُ سومريّة» المنشورُ في دمشقَ عامَ (٢٠٠٤م)، وقد كتبتْ قصائدَ الديوانِ كما جاءَ في تنويهِها في بغدادَ خلالَ الأعوامِ (٢٠٠٠– ٢٠٠٢)، وهي الفترةُ التي عبّرت عنها بأنّها مشحونةٌ بالهمِّ الوطنيِّ إذْ كان الحصارُ على أشدِّه والتهديداتُ بالعدوانِ المسلّحِ تتصاعدُ. إنّ الشاعرةَ وهي تستذكرُ تراثَها العريقَ لا تمجّدُ في تباريحِها وهمومِها المثقلةِ إلّا هذا الوطنَ الذي يتعرّضُ لهجمةٍ عدوانيّةٍ شرسةٍ، فالمكانُ السومريّ استطاعَ الإنسانُ فيه منذُ البدءَ أن يكتبَ خلودَهُ الأبديّ: هبطنا من الزمنِ البابليِّ/ على الأرضِ منّا وسلوى/ عقدوا حبلَ سُرّيٍّ بسرِّكِ/ فصارَ دمي/ من دمكِ/ وقابلتي البابليّةُ/ مرّتْ بمرودِها الذهبيِّ/ بين عينيّ وعينكِ/ فصرتُ أرى ما ترى/ كبرنا/ كطفلينِ من بركاتِ النذور (الموسوي، ٢٠٠٤: ٧).

تخرجُ هذه الصورُ البيانيّةُ عن نظامِ اللغةِ مُحدثةً العديدَ من التقلباتِ في المعنى المعياريّ؛ إذْ تضفي الشاعرةُ الحسَّ الإنسانيَّ على الأشياءِ، فيتحوّلُ العراقُ إلى ذاتٍ إنسانيّةٍ حيّةٍ يخالطُ دمَها دمَهُ خوفا عليه. ثمّ تستحضرُ صورةَ قابلتِها البابليّةِ بمرودِها الملكيِّ الذهبيِّ في لحظةٍ اندماجيّةٍ استعاريةٍ، لتصفَ بذلكَ الوحدةَ التامّةَ بينَ الذاتِ والوطنِ: مرّتْ بمرودِها الذهبيِّ/ بينَ عينيّ وعينكِ/ فصرتُ أرى ما ترى (المصدرُ نفسه: ٩).

وتقولُ في التعبيرِ عن حبِّها للعراقِ وتمسّكِها بهويّته: تقولُ أبحري/ فنارُكِ لي ستضيءُ المدى/ أصعدي فوقَ موجي/ إلى ما تشائينَ من أرضين/ أحقًّا تقول؟/ أريدُ بلادًا/ لا أرى فوقَ وجنتِها/ أثرًا للدموعِ/ ليستْ تعرى وليستْ تجوعُ/ بلادًا بحجمِ بلادي/ لها قمرٌ كلَّ يومٍ أراهُ/ وشمسٌ تشعشعُ بالكبرياءِ/ أتأخذني، لبلادٍ/ أعزُّ الكنوزِ بها إنسانُها/ ليس فيها حرابٌ/ ليس فيها خرابٌ/ قال: سَمّي البلادَ التي ترغبينَ/ سوى وطني (الموسوي، ٢٠٠٦: ١٣٠–١٣١).

تُبرزُ الأبياتُ التمسّكَ القويَّ بالهويةِ الوطنيّةِ والانتماءِ إلى الوطنِ والأرضِ، وتُظهرُ وجهًا من وجوهِ الصمودِ والمقاومةِ عبرَ الرغبةِ في بناءِ وطنٍ مستقلٍّ مزدهرٍ يخلو من الخرابِ والهدمِ. تعبّرُ الشاعرةُ عن التمسّكِ بالهويةِ الوطنيةِ من خلالِ رسائلِها لوطنِها التي تحثُّهُ فيها على التقدّمِ والازدهارِ، فتعبّرُ عن كبريائِه وحبِّه الوجوديّ، وتبرزُ مفرداتٍ مثلَ «لا أرى فوقَ وجنتِها أثرًا للدموع» و"ليستْ تعرى وليستْ تجوعُ" دلالةَ الكرامةِ الوطنيّةِ والعزّةِ العراقيةِ، وهو ما يمنحُ الوطنَ قوّتَهُ ويجعلهُ منفتحًا على العالمِ. وبذلكَ يتجلّى مفهومُ الهويةِ في شعرِ ساجدةَ الموسوي بوصفِه بؤرةً شعوريّةً وجماليّةً تلتقي فيها الذاتُ الشاعرةُ بالرمزِ الوطنيِّ، فيتحوّلُ الوطنُ إلى كيانٍ رمزيٍّ جامعٍ للذكرياتِ والوجدانِ ويغدو محورا تأويليّا ضمنَ ملامحِ أدبِ المقاومةِ العراقيّ المعاصرِ.

٢-٣. الحربُ والنِّضالُ بوصفِهما مرتكَزينِ بنائيَّينِ عندَ الشاعرة

تشكّلُ الحربُ والنِّضالُ جانبينِ مهمَّينِ في أدبِ المقاومةِ، فهما يُجسّدانِ الصّراعَ والتحدّياتِ التي تواجهُها الشّعوبُ المُقاومةُ في ظلِّ الظروفِ القاسيةِ مثلَ الاحتلالِ والقمعِ والظُّلمِ. ويُعدّ النِّضالُ والمقاومةُ مُحرّكا أساسيّا للأعمالِ الأدبيّةِ في هذا السِّياقِ؛ إذ يقومُ الكتّابُ والشُّعراءُ بتصويرِ تجاربِ الحربِ والنِّضالِ، ومعاناةِ الأفرادِ والجماعاتِ المستباحةِ بأسلوبٍ يُسلِّطُ الضوءَ على الظُّلمِ ويُعزِّزُ قيمَ العدالةِ والحريّةِ. ومن خلالِ اللغةِ القويّةِ والتعبيرِ الشِّعريِّ والسَّردِ الرِّوائيِّ، ينقلُ أدبُ المقاومةِ رسالةَ الصّمودِ والتحدّي والأملِ، ويستخدمُ الكتّابُ الصُّورَ البصريّةَ والمشاعرَ القويّةَ لتجسيدِ واقعِ الحربِ والنِّضالِ، وتعزيزِ وعيِ القُرّاءِ بالمعاناةِ والقوّةِ الرّوحيّةِ التي يمتلكُها المُناضلونَ (الأشتر، ١٩٦٠، ١: ٧٣).

ويتناولُ أدبُ المقاومةِ القصصَ الشّخصيّةَ والجماعيّةَ للأبطالِ والشّهداءِ والناجينَ، ويكشفُ عن الظروفِ القاسيةِ التي يعيشونَها ويكافحونَ فيها، كما يُعزّزُ هذا الأدبُ الوعيَ والتّحرّرَ والتّضامنَ، ويحثُّ القُرّاءَ على النِّضالِ من أجلِ العدالةِ والحريّةِ. وفي النّهايةِ، تُشكّلُ الحربُ والنِّضالُ ركيزتينِ أساسيتينِ في أدبِ المقاومةِ؛ إذ تعكسانِ الصّمودَ والتحدّي والثباتَ في وجهِ القمعِ والظّلمِ، وتُعزّزانِ العدالةَ والحرّيّةَ باعتبارِهما قيمتينِ أساسيتينِ من قيَمِ الإنسانيّةِ (الحسين، ١٩٧٢، ١: ١٤٣).

ويتمثّلُ أدبُ المقاومةِ – على وجهِ الخصوصِ – في تجربةِ الحربِ والثّورةِ والنِّضالِ، مع رفعِ رايةِ المفاهيمِ والقيمِ المتعلّقةِ بالانتماءِ والهُويّةِ والحريّةِ، وسائرِ تجاربِ الدّفاعِ عن الحياةِ الأجملِ التي ترفعُ مكانةَ الإنسانِ. وبينما يقتصرُ مصطلحُ أدبِ الحربِ على تجربةِ الحربِ وحدها، فإنّ الطّابعَ الموضوعيَّ يُظهرُ أنّ أدبَ المقاومةِ أكثرُ صلابةً وتعبيرا عن الحالةِ العامّةِ التي يعيشها الأفرادُ والجماعاتُ في وجهِ المُعتدي؛ فهو لا يقتصرُ على تجربةِ الحربِ وحدها، ولا هو تعبيرٌ عن القهرِ والاستبدادِ فحسب، بل هو أدبٌ يُعبّرُ عن العملِ من أجلِ تفجيرِ الطّاقاتِ الإيجابيّةِ المطلوبةِ

للمواجهةِ، ويجسّدُ وجهةَ النّظرِ الإنسانيّةَ الكليّةَ لا العنصريّةَ الضيّقةَ، وهو أيضا أدبٌ يسعى دائما إلى إعدادِ الأفرادِ والشّعوبِ والرّأيِ العامِّ لفكرةِ المقاومةِ (خضر، ١٩٦٨، ١: ١٨٢).

و يحظى هذا الجانبُ من أدبِ المقاومةِ باهتمامٍ كبيرٍ في أشعارِ ساجدةِ الموسوي؛ فهي تُشيرُ إلى الحربِ التي تعرّضَ لها العراقُ وأدّت إلى تشريدِ النّاسِ حين تقولُ: وطني أكلتهُ الحربُ/ نصفُ بلادي في المنفى/ والنصفُ الثاني/ أخبارٌ أسمعُها بالجوالِ/ أوَ تسألني كيف الحال؟/ حتى الشّمسُ هنالكَ صارتْ/ تتعثّرُ بالجثثِ المجهولةِ/ والجثثِ المحروقةِ/ والليلُ غريبٌ/ نامَ على الآهاتِ فما أغمضَ عينًا/ كيف وبعضُ الآهاتِ تهزُّ الجبالْ؟ (الموسوي، ٢٠٠٤: ٥٦).

لقد كانت قضيّةُ فلسطينَ من أبرزِ القضايا التي ما زالتْ تحتلُّ مساحةً واسعةً من الرّصيدِ الشّعريِّ لكلّ شاعرٍ عربيٍّ يرى في قضيّته قضيّةَ الأمّةِ العربيّةِ الواحدةِ، فاسترجاعُ الأرضِ العربيّةِ واستردادُها هو الهدفُ الأسمى مهما بلغَ طريقُ السّعيِ من صعابٍ، لأنّ العدوَّ لن يُحققَ مآربَهُ في طمسِ القضيّةِ الفلسطينيّةِ، وسيأتي اليومُ الذي يتجرّعُ فيهِ من نفسِ الكأسِ. وبكلِّ عزيمةٍ أبيّةٍ رافضةٍ لانتهاكاتِ العدوِّ، تدوي الصّرخةُ في قولِ الموسويّ من قصيدةِ «عرسِ القدس»: أرأيتمْ عُرسا حتى كفَّ عروستِهِ بالدمِ/ والرّقصُ على ساحاتِ الموتِ يدورُ بألفِ هتافٍ ونشيدٍ/ يا قدسُ/ فداكِ الرّوحُ ومهرُكِ آتٍ آتٍ من كلِّ جراحِ العشّاقِ (الموسوي، ٢٠٠٤: ١٥).

فالخطابُ الشّعريّ هنا يحملُ دفقاتٍ دلاليّةً من الشّجنِ الممزوجِ بالأسى على الدماءِ التي تُراقُ هناكَ، والتّضحياتِ الّتي يُقدّمُها الأبناءُ فداءً للقدسِ، وجاءَ النّداءُ «يا قدس» محفّزًا على بذلِ كلِّ فداءٍ من أجلِها.

وعندما اجتاحتْ عواصمُ الدولِ العربيّةِ والعالميّةِ مظاهراتُ احتجاجٍ صاخبةٍ ضدّ الحربِ على العراقَ، كانت المظاهرةُ الكبرى في دمشقَ، حيثُ عمّتْ الشوارعَ ودخلتْ إلى مبنى السّفارةِ الأمريكيّةِ وبيتِ السّفيرِ نفسه، فالتقطَ المُصوّرونَ صورةَ ذلكَ الفتى الدّمشقيِّ الذي صعدَ إلى ساريةِ العلمِ الأمريكيِّ وأنزلَهُ، فقامَ المتظاهرونَ بحرقِه، وكان ذلكَ حدثا جللا عبّر عن مشاعرٍ قوميّةٍ عارمةٍ. وقد نظمتْ الشاعرةُ قصيدةً حيّتْ فيها ذلكَ الفتى، فقالتْ: للصبيِّ الدّمشقيِّ مرحى/ وددتُ أطرّزُ فوقَ ثيابِ الصّغيراتِ اسمَهُ.../ وددتُ أطرّزُ أحرفَهُ فوقَ أشرعةِ الفجرِ/ لكنّني لستُ أعرفُهُ/ افترضتُ اسمَهُ خالداً، أو عليًّا/ فهو يحملُ أسماءَ كلِّ البنينَ الغيارى/ وكلِّ الشّبابِ الذينَ استفزَّ كرامتَهمْ ظلمُ أعدائنا وبني عمّنا (في الصّحارى)/ كلُّ عينٍ رأتهُ تمنتْ علاهُ حينَ جمعَ من كلِّ قلبٍ أزيزَ الغضبِ/ ووحّدَ في لحظةٍ شملَ كلَّ العربِ (المصدرُ نفسه، ١٤٧).

وفي قصيدةِ «فلوجةُ قلبي» تُعبّرُ الشاعرةُ من خلالِ كلماتِها عن فخرِها واعتزازِها بمقاومةِ مدينةِ الفلوجةِ للاحتلالِ الأمريكيِّ، وتبرزُ الهزيمةَ التي مُنيتْ بها القوّاتُ الأمريكيّةُ في تلكَ المدينةِ حين تقولُ: يا يومَ الفلوجةِ/ مشهوداً كنتَ لكلِّ العالمِ/ مرغتَ بوحلِ العارِ أنوفَ الأمريكيّينَ/ قالوا: في الفلوجةِ جيشٌ آخرُ كانَ يُقاتلُنا لكنْ ما أبصرناهُ/ أنسوا أنّ معَ الفلوجةِ قاتَلَ جيشُ الرحمنِ؟ (الموسوي، ٢٠٠٦: ٦٩–٧٠).

تبدأُ الشاعرةُ بالتّعبيرِ عن أهميّةِ هذا اليومِ في مدينةِ الفلوجةِ، وقد كانَ حدثا مشهودا على مستوى العالمِ بأسرهِ، مؤكّدةً على رمزيّةِ المقاومةِ في تلكَ اللحظةِ التّاريخيّةِ. وتتناولُ في أبياتِها مظاهرَ الهزيمةِ والإحباطِ التي لحقتْ بالأمريكيّينَ في هذه المعركةِ، وتصفُهم بأنّهم تَعرّضوا للعارِ والخزيِ، وتُشيرُ إلى تمرّدِ الفلوجةِ وصمودِها، وتُبرزُ أنّ الجيشَ المقابلَ كان جيشا مؤمنا يحملُ عنفوانَ الإرادةِ الإلهيّةِ تحتَ اسمِ «جيشِ الرحمن»، في إشارةٍ إلى الطّابعِ الرّوحيِّ والإيمانيِّ الذي يُميّزُ المقاومةَ العراقيّةَ.

وباختصارٍ، تُعبّرُ الشاعرةُ من خلالِ هذه الأبياتِ عن انتصارِ مدينةِ الفلوجةِ والمقاومةِ العراقيّةِ على القوّاتِ الأمريكيّةِ، وتُمرّرُ رسالةَ الصّمودِ والتحدّي والنِّضالِ، مُبرزةً أنَّ الحربَ والنِّضالَ يظلانِ من أبرزِ المظاهرِ البنيويّةِ في أدبِ المقاومةِ العربيّ، لما يُجسّدانهِ من تلاحمٍ بينَ الإيمانِ والإرادةِ والوعيِ الجمعيِّ في مواجهةِ القهرِ والاستعمارِ.

٢-٤. صورةُ العدوِّ عندَ ساجدةِ الموسوي

يُعَدُّ العدوُّ واحدًا من الملامحِ الأساسيّةِ في أدبِ المقاومةِ؛ فهو يُمثّلُ القوّةَ الاستبداديّةَ والمستعمرةَ التي تهدفُ إلى السّيطرةِ والاستعبادِ وممارسةِ الظّلمِ على الشّعوبِ المُقاومةِ. ويُصوَّرُ العدوُّ في هذا النّوعِ من الأدبِ بوصفِه القوّةَ المعاديةَ والمحتلّةَ، ويتجسّدُ من خلالِ الأفرادِ والمؤسّساتِ التي تُمثّلُ هذا النِّظامَ القمعيَّ. ويستخدمُ أدبُ المقاومةِ اللغةَ والصّورَ الشّعريّةَ والرّمزيّةَ لكشفِ وتناولِ الوجهِ القبيحِ للعدوِّ وأفعالِه الظّالمةِ، ويتمُّ توثيقُ الجرائمِ والانتهاكاتِ التي يرتكبُها العدوُّ، مثلَ الاحتلالِ والتهجيرِ والقمعِ والتّعذيبِ، فيكشفُ الأدبُ المقاومُ عن المعاناةِ الإنسانيّةِ التي يتعرّضُ لها الأفرادُ والشّعوبُ تحتَ سطوةِ العدوِّ (بركات وآخرون، ٢٠٠٤، ١: ١٥٣).

بالإضافةِ إلى ذلك، يُستَخدمُ مفهومُ العدوِّ في أدبِ المقاومةِ لتجسيدِ الصّراعِ والنِّضالِ في سبيلِ التّحرّرِ والعدالةِ؛ إذ يتحدّى الكتّابُ والشّعراءُ العدوَّ ويُصوّرونَ المقاومةَ والتّضحيةَ من أجلِ الحرّيّةِ والكرامةِ، بما يُعزّزُ الوعيَ الثّقافيَّ والسّياسيَّ ويحثُّ القُرّاءَ على المشاركةِ الفاعلةِ في النِّضالِ ضدّ العدوِّ، سواء بالتّوعيةِ أو بالمشاركةِ العمليّةِ في الحركاتِ الثّوريّةِ (عطيّة، ١٩٧٤، ١: ٧٦).

وها هي الشّاعرةُ تتطرّقُ بتعابيرَ مؤثّرةٍ وصورٍ بيانيّةٍ مبتكرةٍ إلى وصفِ حصارِ غزّةَ وتعرّضِ قوّاتِ العدوِّ الصّهيونيِّ للسُّفُنِ التي أرادتْ كسرَ الحصارِ، في جملٍ شعريّةٍ تُصوّرُ عمقَ المأساةِ وتكشفُ عن فسحاتٍ من الأملِ بموتِ الجوعِ وكسرِ الحصارِ وتراجعِ الموتِ عن شعبِ غزّةَ: عندَ النّومِ يغيبُ الوعيُ ولكنْ/ يبقى ظلُّ الخوفِ يُراودُ أفئدةَ الأطفالِ/ في الرُّؤيا قالوا:/ ستجيءُ لغزّةَ بضعُ مراكبَ تحملُ أطنانَ دواءٍ وغذاءٍ/ وسنأكلُ حتّى نشبعْ/ سيموتُ الجوعُ من القهرِ.../ سنحيا رغمَ السِّجنِ ورغمَ السّجّانِ (الموسوي، ٢٠٠٤: ٦٤).

ومن ملامحِ أدبِ المقاومةِ التي تضمّنتْها هذه القصيدةُ، يمكنُ أن نذكرَ الإشارةَ إلى تضامنِ الشّعوبِ العربيّةِ مع الشّعبِ الفلسطينيِّ الذي يُناضلُ ضدّ الاحتلالِ الصّهيونيِّ: عندَ صباحِ اليومِ الثّاني/ قالوا: صارَ الحلمُ حقيقةً/ امتلأ البحرُ برايات شعوبٍ أخرى/ حقًّا جاؤوا/ وستُكسرُ أبوابُ السِّجنِ... سنحيا/ ويموتُ الموتُ من القهرِ... ولكنْ/ في الرِّيحِ ذئابٌ تعوي/ الموتُ تململَ وضجَّ بأسلحةٍ شاخصةِ الأبصارِ/ عوَتِ الرِّيحُ وهاجتْ ألسنةُ النّارِ (المصدرُ نفسه، ٦٥).

و في قصائدِ الموسوي، تُضاءُ شعلةُ المقاومةِ عادةً بعدَ وجودِ العدوِّ المُحتلِّ في البلاد، ولذا كانَ من الطّبيعيِّ أن يكونَ للعدوِّ دورٌ مهمٌّ في شعرِها؛ فهي تسعى من خلالِ وصفِ العدوِّ وإظهارِ جرائمِه وظلمِه بأسلوبٍ غيرِ مباشرٍ إلى إيقاظِ شعورِ المعارضةِ والمقاومةِ والصّراعِ بينَ النّاسِ: قتلوا رُسُلَ الأحلامِ وسالَ دمُ الأحرارِ/ يا أمّي، هل قتلوا البحرَ أم البحّارَ؟/ وهل الموتُ سيحيا؟ ما الذي يجري؟ ما الأخبارُ؟/ لا تحزنْ يا ولدي، لم يمتْ البحرُ ولا البحّارُ/ بل ماتَ ظلامٌ وانهدَّ جدارٌ/ غزّةُ تحيا رغمَ ذئابِ الموتِ وكيدِ الفجّارِ/ لا تحزنْ يا ولدي، فالدُّنيا تسمعُ ما يجري/ وقيودُ الظّالمِ مهما طالتْ ستظلُّ قِصارًا/ سوفَ ننامُ بلا خوفٍ وأُغنّيكَ جميلَ الأشعارِ/ عاشَ البحرُ وعاشَ البحّارُ/ عاشَ الشُّهداءُ على كلِّ مراكبِهمْ أحرارًا/ عاشتْ غزّةُ، عاشَ البحرُ وعاشَ البحّارُ (الموسوي، ٢٠٠٦: ٨٤).

و تُعبّرُ الشّاعرةُ كذلك عن المآسي والمذابحِ التي تعرّضَ لها الشّعبُ العراقيُّ على يدِ العدوِّ فتقولُ: لماذا يُغنّي العراقُ السلامَ/ وأهلُ العراقِ يموتونَ قصفًا وقتلًا وذبحًا/ يُساقونَ للموتِ قسرًا/ وكلٌّ على صخرةِ الحقدِ يُنحرُ (المصدرُ نفسه، ٦٨).

تُبرزُ هذه الأبياتُ العواقبَ المأساويّةَ للهجماتِ والمذابحِ التي تعرّضَ لها الشّعبُ العراقيُّ على يدِ العدوِّ؛ فهي تُسلِّطُ الضّوءَ على التّناقضِ الصّارخِ بينَ ترنيمةِ السّلامِ التي يُعبّرُ عنها العراقُ بلسانه، وبينَ الواقعِ المريرِ الذي يعيشهُ أبناؤهُ. وتُقدّمُ الأبياتُ سؤالا محوريّا يُعبّرُ عن الاستغرابِ والاستنكارِ، حيثُ تتساءلُ الشّاعرةُ كيفَ يُغنّى العراقُ للسّلامِ والازدهارِ في حينَ أنَّ أهلَهُ يعانونَ القتلَ والدمارَ والمأساةَ. بتسليطِها الضوءَ على هذا التّناقضِ، تُعبّرُ الشّاعرةُ عن غضبِها وتنديدِها بالعدوِّ الّذي يُمارسُ القتلَ والتّدميرَ ويُجبرُ أبناءَ وطنِها على الموتِ قسرا. وتستخدمُ الشّاعرةُ كلماتٍ قويّةً مثلَ: «يموتونَ قصفا وقتلا وذبحا» و«يُساقونَ للموتِ قسرا»لتصويرِ مأساةِ الشّعبِ، وتُظهرُ عبارةُ «وكلٌّ على صخرةِ الحقدِ يُنحرُ» وحشيّةَ العدوِّ في التّعاملِ مع الإنسانِ العراقيِّ. و من ثمّ تُساهمُ هذه الأبياتُ في تصويرِ العدوِّ والتنديدِ به كمظهرٍ من مظاهرِ أدبِ المقاومةِ، عبرَ تسليطِ الضوءِ على الوحشيّةِ والظّلمِ الّذينِ يُمارسُهما ضدَّ الشّعبِ، كما تُجسّدُ إرادةَ الصمودِ والتحدّي في وجهِ هذهِ الظروفِ القاسيةِ.

إنّ الأبياتَ التي كتبتْها الشّاعرةُ عن مأساةِ العراقَ تعبّرُ بقوّةٍ عن مفهومِ العدوِّ في سياقِ أدبِ المقاومةِ؛ فهي تُبرزُ تناقضا بينَ السّلامِ الذي يُغنّى بهِ والواقعِ الذي يعيشهُ الشّعبُ، بما يُظهرُ رفضا واستنكارا لأفعالِ العدوِّ الوحشيّةِ. كما تُعبّرُ عن غضبٍ عميقٍ واستياءٍ إنسانيٍّ صادقٍ، وتُبرزُ إرادةَ المقاومةِ في مواجهةِ هذا الظّلمِ عبرَ الكلمةِ والقصيدةِ التي تتحوّلُ إلى فعلِ مقاومٍ وصرخةِ حريّةٍ ترفضُ الانكسارَ. وهكذا تُسهمُ هذه الأبياتُ في بناءِ وعيٍ جمعيٍّ يُعزّزُ فكرةَ الصمودِ والتحدّي في وجهِ العدوِّ، ويُرسّخُ الرّغبةَ في تحقيقِ العدالةِ والحرّيّةِ عبرَ القوّةِ الشّعريّةِ الرّمزيّةِ.

٢-٥. تجسيدُ الشّعبِ عندَ الشاعرة

يُجسّدُ الشّعبُ في أدبِ المقاومةِ قوّةً حيّةً وجماعيّةً تقاومُ الظّروفَ القاسيةَ وأشكالَ الاستعبادِ كلّها. ويُعَدُّ الشّعبُ في هذا النّوعِ من الأدبِ رمزا للوحدةِ والصّمودِ والتحدّي، إذ يُصوَّرُ بوصفِه مجتمعا يعاني من الظّلمِ والاحتلالِ والقمعِ، وفي الوقتِ نفسهِ يُجسَّدُ كمجموعةٍ تنتفضُ وتُقاومُ

لتحقيق الحرّيّة والعدالة. ويستخدمُ أدبُ المقاومة اللغةَ والصُّورَ الشّعريّةَ والرّمزيّةَ في تمثيل الشّعب وتجسيده داخلَ أعماله الفنّيّة، ويُوظّفُ عادةً الشّخصيّاتُ القويّةُ والمؤثّرةُ في هذا الأدب لإظهار إرادة الشّعب وروح المقاومة لديه. ويعكسُ أدبُ المقاومة قصصَ الأبطال والنّاشطينَ والمجاهدينَ الذينَ يُضحّونَ في سبيل حقوقهم وكرامتهم (أبو راشد، ٢٠١٢: ١٢).

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنّ أدبَ المقاومة يتشكّلُ تحتَ تأثير سلسلة من الظُّروف الخاصّة، من أبرزها وجودُ الاستبداد الدّاخليّ، والحرمانُ من الحرّيّات الفرديّة والاجتماعيّة، وغزوُ القوى القمعيّة والاستبداديّة، والتهديداتُ التي تُوجَّهُ إلى الأرض ورأس المال الوطنيّ وغير ذلك. لذلك، يرتبطُ المحتوى الرّئيسُ لهذه الأعمال عادةً بالقضايا المتعلّقة بالاحتجاج على العنف الدّاخليّ، أو بدعوة النّاس إلى القتال والصّمود في وجه العدوان والظّلم الخارجيّ. وبعبارة أبسطَ، يمكنُ تصنيفُ القصائد والنّصوص الأدبيّة الّتي يكونُ موضوعُها الرّئيسُ دعوةَ النّاس إلى النّضال ضدَّ المعتدينَ المحليّينَ أو الأجانبَ تحتَ عنوان أدب المقاومة. ونظرا لأنَّ الشّعرَ فنٌّ يولدُ من الشّعور والفكر الخالصين، فإنَّه يُعدُّ أبرزَ مجالات أدب المقاومة وأوضحَها في دعوة الشّعب إلى النّضال والوقوف ضدَّ المعتدينَ، ولذلكَ فإنَّه يؤدّي دورا رئيسا كعاملٍ مُحفّزٍ للمقاومة، يُسهمُ في تحفيز الجماهير وتقوية روح الحرّيّة لديهم. ومن الموضوعات الّتي يتناولُها أدبُ المقاومة إلى جانب تجسيد الشّعب، تصويرُ المظلومينَ والمضطهَدينَ، والإشادةُ بالأرض، وبالحرّيّة، وإحياءُ ذكرى الشّهداء، والتعبيرُ عن الظّلم والجرائم المقترَفة بحقّ الشّعب، وإعطاءُ الأمل له (شكري، ١٩٧٩، ١: ١٨٤).

ويبدو أنّ قضيّةَ الشّعب والمشاكلَ والأهوالَ الّتي تعرَّضَ لها تُشكّلُ جزءا كبيرا من شعر الموسويّ؛ فهي تشيرُ إلى حزن الشّعب العراقيّ، والسّواد الّذي يلفُّهُ بسبب الحروب الّتي سلبتْهُ خيراته ورفاهيّتَهُ، فتكثرُ من الأسئلة رغمَ علمها بالأجوبة، رغبةً منها في إحداث الأثر المنشود في ذهن القارئ: لماذا تُسمّى بلادُ السَّوادِ؟ ــ لأنَّ الحروبَ ترشُّ الدّخانَ.../ تبيعُ ثيابَ الحِداد إلى الأمّهات... إلى اللافتات/ ومن سَهَرِ الأعين الخائفات تصيرُ المدائنُ بحرًا من الحدَقاتْ...!/ لماذا النّخيلُ طويلٌ؟ ــ لكي يرفعَ الأرضَ عن حزنها المستديم/ إلى قمرٍ مزهرٍ/ وصلاةٍ/ إلى حُلُمٍ لا يموتُ/ إلى زمنٍ لا يُفزّزُ نومَ القطاة.../ إلى خيط فجرٍ نديٍّ/ قد يطلُّ بما يتيسَّرُ من معجزات...!/ لماذا العراقُ حزينٌ؟ ــ لتبكي السَّماءُ عليه/ ومن دمعها تولدُ الأنهرُ الصّافيات/ ومن دمعها تدورُ النّواعيرُ، تسقي الزّروعَ فيربو النباتُ.../ ومن دمعها يشربُ النّاسُ ماءَ الحياة (الموسوي، ٢٠٠٤، ١: ٨٥).

وفي خضمِّ إشارتها إلى حبِّها للعراق، لا تغفلُ عن تشبيه هذا الحبِّ بالمشاعر الّتي يكنُّها الشهيدُ للجنَّة الّتي تنتظرُهُ، فتقولُ: أحبُّ العراقَ/ أرضَهُ وسماهُ... بردَهُ ولظاهُ/ فجرَهُ وضحاهُ... فقرَهُ وغناهُ/ أحبُّ العراقَ كحبِّ الشهيد لريح الجنان/ وهو يمضي بحنّائه باسمَ الخافقينَ (المصدرُ نفسهُ، ١: ٦٣).

وتتميّزُ قصائدُ الموسويّ بمزيجٍ من الغضب والحزن، إذ تغوصُ في حضارة وادي الرّافدينَ وتحاولُ لملمةَ النّسيج الاجتماعيّ للشّعب العراقيّ في ثوبٍ واحد، فتتوجّهُ في شعرها إلى هذا الشّعب بكلِّ مناطقه ومدنه من الكرخ إلى الرّصافة، ومن بغدادَ وسامراءَ إلى الموصل والبصرة والنّاصريّة وغيرها، محاولةً تجاوزَ الدّعوات الّتي تنادي بالتّفرقة عبرَ المذاهب والملل فتقولُ: لاحتْ كالنجمة/ والليلُ ثقيلُ الوطء شديدُ الأحزان/ ثمَّ تراءتْ عنقاءُ/ هزّتْ بالعشر تلابيبَ الموت/ كانتْ تتحدّى الطغيانَ (الموسوي، ٢٠٠٦: ١١١).

وتصفُ الموسويّ معاناةَ الشَّعبِ العراقيّ، فتشيرُ إلى الجثثِ الّتي خلّفتْها الحربُ، وسرقةِ البيوتِ والجوامعِ، واحتراقِ الأشجارِ، واغتيالِ حقوقِ الإنسانِ، وحالةِ الفوضى الّتي احتدمتْ، فتقولُ: دعوني من الهمِّ أهذي/ ومن قسوةِ الجرحِ أهذرُ/ لماذا بلادي تُدمَّرُ؟/ وشعبي العريقُ يُذلُّ ويُقهَرُ؟/ أليستْ مساميرُها دقّتِ الحرفَ للنّاسِ يومًا/ وقالتْ لكلِّ الشّعوبِ: اقرؤوا واكتبوا/ وقدّمتْ من الطينِ دفترًا/ لماذا بلادي تُدمَّرُ؟/ وأطفالُها كالرياحينِ فوقَ المهودِ يموتونَ (المصدرُ نفسهُ، ١١٣).

وفي قصيدةِ «لستُ أنسى» تُصوِّرُ الشّاعرةُ ألمَ الفراقِ، وهو الفراقُ الّذي عانى منهُ مختلفُ أفرادِ الشَّعبِ بسببِ الحربِ والإرهابِ، فراقُ بغدادَ الّتي كانتْ تترفُ من خنجرٍ في الصّميمِ، وضياعُ النّاسِ، والظّلامُ الّذي أحاطَ بهم، والخوفُ الّذي حلَّ في ديارِهم؛ إنَّهُ فراقُ الأبِ لولدِهِ الّذي اختطفتهُ الحربُ، وفراقُ النّاسِ لماضيهم العريقِ، وفراقُ الأطفالِ لطفولتِهم حينَ حملوا البنادقَ: لستُ أنسى الفراقَ/ ولذعتَهُ ما تزالُ كما الجمرِ تكوي/ لستُ أنسى الظّلامَ الّذي ظلَّ فوقَ الحضاراتِ يهوي/ وتلكَ الجيوشُ الّتي عسكرتْ في المدائنِ تعوي/ عواءً يقولُ: بأنَّ الذئابَ ستذبحني/ من ورودِ الجديلةِ/ حتّى الوريدِ/ قبلَ يومِ الفراقِ رأيتُ العراقَ حزينًا/ وفتيتَهُ يحملونَ عذوقَ الرصاصِ/ بنادقَهم زُيِّتتْ بالعنادِ/ ومحشوةٌ غضبًا واتّقادًا/ رأيتُ العراقَ في آخرِ يومِ الوداعِ/ كأنَّ أبًا كتَّفوهُ وشدُّوا عيونَهُ/ ثمَّ قاموا بذبحِ بنيهِ أمامَهُ واحدًا واحدًا/ كانَ رغمَ الغطاءِ يرى فيذوبُ حشاهُ/ أسمعُ نجواهُ يبكي/ فأنشجُ كالرِّيحِ خلفَ الحدودِ أولولُ/ آهٍ... فآهٍ... فآهٍ... (الموسوي، ٢٠٠٤: ١١٩).

تعكسُ هذه الأبياتُ صورةَ الشَّعبِ في أدبِ المقاومةِ على نحوٍ عميقٍ، فهي تُبرزُ تلاحمَ الأفرادِ في مواجهةِ المأساةِ، وتجسِّدُ هويّةً جماعيّةً رافضةً للانكسارِ والاستلابِ، وتُعيدُ بناءَ الوعيِ الجمعيِّ على أساسِ المشاركةِ في الألمِ والأملِ معا. فالشَّعبُ هنا ليس كيانا متفرِّعا من الأرضِ فحسب، بل هو ذاكرةٌ حيّةٌ قادرةٌ على تحويلِ الحزنِ إلى فعلِ مقاومةٍ، والرّثاءِ إلى وعيٍ يتجاوزُ حدودَ اليأسِ، ليصبحَ الوطنُ عندَ الموسويّ كائنا من الحنينِ المستمرِّ والكرامةِ المُستعادةِ عبرَ الكلمةِ الشِّعريّةِ ذاتِ البعدِ الإنسانيِّ والجماعيِّ.

٢-٦. صورةُ الشهادةِ عندَ ساجدةِ الموسويّ

إذا كانَ الجهادُ فرضاً شرعيّاً، فإنَّ الشهادةَ هي ثمرةُ المعرفةِ واليقينِ، وما يدفعُ المقاتلَ إلى التضحيةِ بنفسهِ وبدمهِ إنَّما هو إيمانُهُ العميقُ بأنَّ أداءَ هذا الواجبِ لن يكونَ عبثاً، بل أجرُهُ كثيرٌ عندَ ربِّهِ. الشهادةُ ليستْ مجرَّدَ موتٍ يُودي بحياةِ الإنسانِ فيفقدُ الجسدُ روحَهُ الّتي كانتْ تسكنُهُ، بل هي رحمةٌ ونداءٌ وحربٌ ضدَّ العدوانِ، ولا ظلمَ أو إرهابَ فيها. والاستشهادُ هو ما يحفظُ دماءَ المسلمينَ وغيرِ المسلمينَ أمامَ الظّالمينَ والأعداءِ، لأنّهُ ينفي الظلمَ ويهدمُ أُبّهةَ وعظمةَ الكفرِ والجورِ ويقوِّضُ أوكارَ الفسادِ والمفسدينَ. ومن ناحيةٍ أُخرى، فإنَّ الاستشهادَ يؤدّي إلى إقامةِ دولةِ العدلِ والحقيقةِ والحرّيةِ الّتي تحفظُ حياةَ المظلومينَ ودماءَهم. لقد أصبحَ مبدأُ الاستشهادِ في جيلنا والأجيالِ النّاشئةِ جزءا أساسيّاً من ثقافتِهم وتعليمِهم وذوقِهم، إذ يعرفونَ جوهرَهُ وعمقَهُ ويحاولونَ تجسيدَهُ في حياتِهم وأعمالِهم. إنَّ الانتفاضةَ الفلسطينيّةَ واحتلالَ هذه الأرضِ على أيدي الصهاينةِ أدّيا إلى انتشارِ ثقافةِ الشهادةِ بين أبناءِ هذه الأرضِ إلى درجةٍ أصبحت فيها قضيّةُ الشهادةِ موضوعاً مهمّاً ومتفشّياً في أدبيّاتِ هذا البلدِ، حتى باتتْ لها مكانةٌ خاصّةٌ في الأعمالِ الأدبيّةِ لهذه الأرضِ، فَـــالاستشهادُ بالنسبةِ للفلسطينيِّ فخرٌ يجعلُ وطَنَهُ حيّاً (مهدي، ٢٠١٠: ٢١).

وفي خضمِّ إشارتِها إلى الأملِ الّذي تحاولُ الشاعرةُ بثَّهُ في قلوبِ النّاسِ، تُشيرُ ساجدةُ الموسويّ إلى موضوعِ الشهادةِ وكأنّها تريدُ أن تُخبرَنا بأنَّ دمَ الشهداءِ هو الّذي يروي تلكَ الآمالَ ويجعلُها يانعةً لكي تخضرَّ بها قلوبُ النّاسِ، فتقولُ في قصيدةِ «أفول الطوفان» في هذا الصددِ: «ونوارسُ دجلةَ ما زالتْ ترتاحُ إذا تعبتْ عندَ نوافذنا/ ما زلنا فوقَ هديرِ الموجِ وعصفِ الرّيحِ نغنّي/ نحنُ هنا... مزروعونَ بطينِ الماءِ/ ما زالتْ غاباتُ النّخلِ وأشذاءُ الحِنّاءِ/ ما زالَ العهدُ وأشرعةُ الشهداءِ/ ما زلنا بابلُ تُشرقُ ثانيةً بينَ منازلِنا/ ما زلنا نمخرُ والموجُ يُصارِعُنا/ غاضَ الماءُ وبانَ النّخلُ/ نُوشكُ أن نصلَ البرَّ» (الموسوي، ٢٠١٠: ١٦).

ونلاحظُ هنا أنّ عبارةَ «أشرعةِ الشهداءِ» تدلُّ على أنّ الشاعرةَ تعتبرُ الشهداءَ القوّةَ الّتي تدفعُ بسفينةِ الوطنِ والشّعبِ إلى برِّ النّجاةِ، تلك السّفينةُ الّتي تُبحرُ في محيطٍ متلاطمِ الأمواجِ وتوشكُ أن تصلَ إلى البرِّ بفضلِ أشرعةِ الشهداءِ. وتتابعُ الشاعرةُ قائلةً في القصيدةِ ذاتِها: «ما شاءَ اللهُ، تلكَ منازلُنا/ ما زلنا فوقَ الطّوفانِ نُجدِّفُ/ للعامِ التاسعِ لم يغمضْ جفنُ كرامتِنا/ والدنيا تعرفُ وبماذا أحلفُ/ سَنُعانقُ بغدادَ قريباً ونَزِفُّ البُشرى/ وسنكتبُ فوقَ سفينِ البلوى/ قصصاً ما مرّتْ من قبلُ على إنسٍ أو جانٍ/ لملايينَ طواها العصفُ ومنهم من سلّمَها تحتَ القصفِ/ لملايينَ الأنفسِ دمّرَها الطّغيانُ/ وتفطّرتِ الأكبادُ من الحرمانِ» (الموسوي، ٢٠٠٦: ٨٤).

كما تُصوّرُ الشاعرةُ في قصيدةِ «قلبي لحبيبةِ قلبي» عالماً يضمُّ قناديلَ ترفُّ عليها أسماءُ الشهداءِ طوالَ الليلِ، فتقولُ: «ستَرينَ هناكَ سماءً صافيةً بنجومٍ زُرقٍ، ومدائنَ نورٍ/ وهناكَ جزائرُ نخلٍ وشذى طلعٍ وطيورٍ/ تتخلّلُها أنهارٌ من مسكٍ وعبيرٍ/ سترينَ بيوتاً من فُلٍّ وحنينٍ/ وقناديلَ من وهجِ العزِّ ترفُّ طوالَ الليلِ/ أسماءُ الشهداءِ عليها/ وعباراتُ وداعٍ قالوها من غيرِ وداعٍ/ لرحيلٍ لا يُشبهُ أيَّ رحيلٍ» (المصدرُ نفسه، ١١٢).

أمّا في قصيدةِ «عاشَ البحرُ وعاشَ البحّارُ» المفعمةِ بالأملِ، فتصوّرُ الشاعرةُ الحصارَ الّذي تُعاني منهُ غزّةُ، وتعرِضُ قواتُ العدوِّ الصهيونيُّ للسّفنِ الّتي أرادتْ كسرَ الحصارِ، وتُحيّي الشهداءَ الأحرارَ على مراكبِهم، فتقولُ: «لا تحزنْ يا ولدي، فالدنيا تسمعُ ما يجري/ وقيودُ الظّالمِ مهما طالتْ ستظلُّ قصاراً/ سوف ننامُ بلا خوفٍ وأغنّيكَ جميلَ الأشعارِ/ عاشَ البحرُ وعاشَ البحّارُ/ عاشَ الشهداءُ على كلِّ مراكبِهم أحرارِ/ عاشتْ غزّةُ عاشَ البحرُ وعاشَ البحّارُ» (المصدرُ نفسه، ١١٩).

أمّا في قصيدةِ «رجعُ القصيدِ البعيدِ» فنلاحظُ مرّةً أُخرى ما تعرَّضَ لهُ الشّعبُ العراقيُّ من استعمارٍ ونهبٍ واعتداءٍ: «وها هيَ بغدادُ تُذبحُ... والبيوتُ بكلِّ عرائسِها تُستباحُ/ الجوامعُ تُهدمُ/ الكنائسُ تُرجمُ/ وما منهم أحدٌ يتكلّمُ/ فهل رقدوا أم نسوا أم مضوا يسهرون؟/ أما نظروا النارَ تأكُلُ أوطانَهم؟ أم فقط هيَ أوطانُنا؟/ والذينَ يموتونَ تحتَ الخرابِ المريعِ ليس أطفالُهم... هم فقط لَبُّ أكبادِنا؟/ إلى الآنَ مشرعةٌ للأخوّةِ كفُّك/ و لم يعرفِ الحقدُ قلبَك/ أهذا نحبُّك؟/ قمْ نصلّي على الشهداءِ، فالصغارُ ببغدادَ من شدّةِ الجوعِ ظلّوا سهارى/ والحنيناتُ شيّعنَ أكبادَهنّ وقلنَ: البلادُ أعزُّ.../ لتصهلْ في الروحِ كلُّ الرياحِ، وكابرْ ولا تستغثْ/ الحنيناتُ بكَ يستغثنَ... فكنْ حسبُهنّ/ اختصرْ كلَّ صمتِ الرجالِ، اختصرْ كلَّ عزمِ المحالِ، اختصرْ كلَّ ما قالَهُ الأوّلونَ أو يُقالُ» (الموسوي، ٢٠٠٤: ١٥٢).

وفي الأبياتِ التاليةِ تُعبّرُ الشاعرةُ عن شهيداتِ الوطنِ وتُمجّدُ التضحياتِ الّتي قدّمتها دفاعاً عن الوطنِ والقيمِ، فتقولُ مخاطبةً مدينةَ الفلوجةِ في قصيدةِ «فلوجةُ قلبي»: «من أينَ أُقبّلُكِ الآنَ؟ من وردِ بناتكِ؟ ممّن هاجرنَ أو ممّن أخلدنَ إلى الأرضِ شهيداتٍ؟/ ليسَ بوسعي أن أصفَ الطّهرَ على أثوابٍ فاحتْ بالمسكِ/ ومن دمِها وردٌ لونُ المرجانِ» (المصدرُ نفسه، ١٦٣).

تبدأُ الشاعرةُ بتمجيدِ بناتِ الفلوجةِ اللواتي استشهدنَ في سبيلِ الدفاعِ عن الوطنِ أو أولئك اللواتي جرى تهجيرُهُنَّ، وتُواصلُ الشاعرةُ استغرابَها وسُخريتها من المنتقدينَ، فتذكّرُهم أنَّ تلكَ التضحياتِ صدرتْ من نساءٍ هاجرنَ من ديارِهِنَّ أو نلنَ شرفَ الاستشهادِ، وهو ما يُبيّنُ مدى تضحياتِ المرأةِ وشجاعتِها جنباً إلى جنبٍ مع الرجلِ. وتُشيرُ الشاعرةُ في عبارةِ «ليسَ بوسعي أن أصفَ الطّهرَ على أثوابٍ فاحتْ بالمسكِ» إلى الصعوبةِ التي تواجهُها في توصيفِ نقاءِ وطهارةِ تضحياتِ الشهداءِ، فترتبطُها برائحةِ المسكِ الفاخرةِ، لإظهارِ مقامِ التبجيلِ والتقديرِ لتلكَ التضحياتِ، فيما تُكملُ قولَها «ومن دمِها وردٌ لونُ المرجانِ» لتؤكّدَ قيمةَ ونقاءَ دماءِ الشهداءِ وتُصوّرَها بألوانِ الوردِ والمرجانِ، في تعبيرٍ عن جمالِ ونقاءِ تلكَ النّفوسِ الطاهرةِ.

وباختصارٍ، تُعبّرُ الشاعرةُ في هذه الأبياتِ عن اعتبارِ الشهادةِ أحدَ مظاهرِ أدبِ المقاومةِ، حيثُ تعكسُ تقديرَها لتضحياتِ الشهداءِ، وتستخدمُ السخريةَ والتناقضَ لتوجيهِ رسالةٍ قويّةٍ إلى المنتقدينَ، ولتكشفَ عن النّقاءِ والجمالِ الكامنينِ في تلكَ التضحياتِ.

النتائج

تتجلّى ملامحُ أدبِ المقاومةِ في شعرِ ساجدةِ الموسويّ بوصفِها تجربةً إنسانيّةً ورمزيّةً تتوحّدُ فيها البنيةُ الشّعريّةُ مع القيمِ الميثولوجيّةِ والوطنيّة، وتتحوّلُ إلى فضاءٍ يعيدُ إنتاجَ النّصِّ المقاومِ بلغةٍ تشحنُ الواقعَ بالتحدّي والصّمودِ والكرامة، فيغدو الأدبُ هنا فعلاً حضاريّاً لا يُقاسُ بكمّ الصّورِ البلاغيّةِ فقط، بل بعمقِ ارتباطِه بالإرادةِ الجمعيّةِ للأمّة. ساجدةُ الموسويّ مثّلت في مجموعاتِها الشّعريّةِ المتعدّدة، من «تباريح سومريّة» إلى «بكيتُ العراق» و«بمام الهديل»، نموذجاً صارخاً لما يُعرفُ في النقدِ العربيِّ بـــ«الخطابِ المقاوميِّ التوليديّ» (الخطاب الذي يُنتجُ المعنى من عمقِ الألمِ ويحوّلُه إلى طاقةٍ رمزيّةٍ للنجاة)، إذ تستثمرُ الشاعرةُ تراثَ العراقِ البابليّ والرافديّ والأسطوريّ لتشييدِ هويةٍ أدبيّةٍ تُقاومُ الطمسَ والنسيانَ، وتعيدُ إنتاجَ الذّاكرةِ من رمادِ الحروبِ عبرَ التكرارِ الإيحائيِّ للأمكنةِ والعلاماتِ المقدّسةِ بوصفِها عناصرَ تحفيزٍ واستدعاءٍ للثبات. فـــ«أدبُ المقاومةِ» عند الموسويّ ليس تكراراً لشعاراتٍ سياسيّةٍ، بل بناءٌ جماليٌّ يجمعُ بين منظومةِ الرمزِ الميثولوجيّ والمنظومةِ العاطفيّةِ النابضةِ بالوجعِ الوطنيِّ، وهكذا تتّخذُ المقاومةُ أبعادها الرؤيويّةَ في التشكيلِ اللغويِّ والإيقاعيِّ، حيث يُصبحُ الوطنُ «وصلاً شعريّاً» بين الأرضِ والإنسانِ والدمِ، ويتحوّلُ الحزنُ الجمعيُّ إلى فعلِ معرفةٍ يطمحُ إلى إعادةِ بناءِ الوعيِ الجمعيِّ. ومن هنا تتبدّى ملامحُ المقاومةِ في شعرِها عبرَ ثلاثِ مستوياتٍ بارزةٍ: أوّلاً المقاومةُ بوصفِها رمزاً للخلودِ والكرامةِ المهدورةِ في مواجهةِ العدوانِ الخارجيِّ، ثانياً المقاومةُ كحركةِ استردادٍ روحيٍّ محمّلةٍ بالحنينِ إلى بغدادَ والمنفى، وثالثاً المقاومةُ بوصفِها خطاباً تأويليّاً يعيدُ تعريفَ العالمِ من خلالِ لغةٍ تُقابلُ العدمَ بالأملِ والموتَ بالانبعاث، والشاعرةُ إذ تُقيمُ هذه الازدواجيّةَ تخضعُ النصَّ لمبدأ «التحويلِ من الألمِ إلى الفعلِ» ليغدو الشعرُ مقاومةً داخلَ المقاومةِ، يتأسّسُ على جدليّةِ الخسارةِ والبعث، كما في قولِها عن بابلَ التي «تشرقُ ثانيةً بينَ منازلنا» بما يحيلُ إلى فكرةِ استمراريّةِ النورِ المقموعِ رغمَ الطوفانِ والاغتراب.

أمّا عن كيفيةِ تجسّدِ هذه الملامحِ في شعرِ الموسويّ، فيمكنُ القول إنّها تُشكّلُ مقاومةً مزدوجةً على الصعيدينِ الجماليِّ والإنسانيّ؛ فهي تُعيدُ توطينَ بغدادَ والفلوجةِ والبصرةِ وغزّةَ في ضميرِ القصيدةِ كموضعٍ لا يُقهرُ، وتمنحُها نَفَساً أسطوريّاً يشبهُ في كنهِه القداسةَ الرافديّةَ حينَ تتداخلُ الصورُ البابليّةُ مع مشاهدِ الحصارِ المعاصر. تتجلّى المقاومةُ في شعرِها عبرَ إعادةِ تعريفِ «الشهيدِ» و«الشهادة» لا كشكلٍ من الموتِ بل كفعلِ ولادةٍ ثانية، إذ تُحوّلُ دمَ الشهداءِ إلى أشرعةٍ تُقلُّ سفينةَ الشعبِ نحوَ البرِّ، وفي هذا التوظيفِ الرمزيِّ تتقاطعُ رؤيةُ الموسويّ مع نظريةِ «التحويلِ التأويليِّ» (الإزاحة الرمزيّة) حيث يتحوّلُ الفقدُ إلى وعدٍ، والتريفُ إلى بذرةِ حياةٍ جديدة؛ وهو ما يبرزُ في قولِها «ما زالَ العهدُ وأشرعةُ الشهداء». هذه اللغةُ تُخضعُ الموتَ لمبدأ الانبعاثِ الشعريّ، وتجعلُ من القصيدةِ مَركبَ نجاةٍ جماعيٍّ، مُحمّلةً بالصورِ الحسيّةِ التي تُلغي الفصلَ بين الإنسانِ والمكان، بين الجسدِ والأرض، وتمنحُ القصيدةَ بُعداً جمالياً يتّصلُ بما يُعرفُ في النقدِ العربيِّ المعاصرِ بـــ«الكتابةِ الإيثاريّة»؛ أي الكتابةُ التي تحملُ الألمَ الجمعيَّ نيابةً عن الجميع. وتُكثّفُ الموسويّ هذا المعنى بتكرارِ المشهدِ البصريِّ لـــ«بغدادَ تُذبحُ والبيوتِ تُستباحُ»، وهو تكرارٌ وظيفيٌّ (تكرارٌ ريفاتيريّ بالاصطلاحِ العربيّ للنقدِ البنيويّ) يُسهمُ في صياغةِ مصفوفةِ التذكّرِ التي تُحوّلُ المأساةَ إلى أيقونةٍ للوعيِ الجمعيّ المقاوم. فالنصُّ هنا ليسَ رثاءً بل تأريخٌ بالدمِ؛ صوتُ الشاعرةِ ينهضُ من قلبِ الخسارةِ ليعيدَ تعريفَ البطولةِ خارجَ نمطِها الذكوريِّ، إذ تمنحُ المرأةَ مكاناً في الفعلِ المقاومِ من خلالِ صورِ «الشهيداتِ» و«بناتِ الفلوجة» ممّن فاحَ طهرُهنّ بالمسكِ، لتطرحَ سؤالاً أخلاقيّاً عميقاً حولَ جوهرِ الشجاعةِ ومعنى التضحية، وبهذا تغدو المقاومةُ لدى الموسويّ فعلاً أنثوياً يبدأ من حنوّ الأمومةِ ودمِ الشهيدةِ ليصوغَ «ذاكرةً مغايرةً»، ذاكرةً تُواجهُ بالوجدانِ ما لا يُمكنُ بالحديدِ والنارِ. هذه المقاومةُ تتّخذُ في شعرِها بعدَها الجماليَّ الأسمى حينَ تدمجُ صورةَ المأساةِ ببهاءِ الرّوحِ،

فتجعلُ من الألمِ أغنيةً ومن الرّثاءِ وعداً بالحياةِ، وبذلك تُحقّقُ انتقالَ الشعرِ من «تسجيلِ الخرابِ» إلى «تحويله إلى طاقةٍ جماليّةٍ» تحرّضُ الوعيَ على النهوضِ.

وأمّا الأساسُ الّذي اعتمدتْ عليه الموسويّ في الوصفِ والتعبيرِ عن ألمِ الشّعبِ العراقيّ، فيتمثّلُ في صياغةِ شبكةٍ دلاليّةٍ تمتدُّ من الرمزِ التراثيِّ إلى العلامةِ الواقعيّةِ اليوميةِ، حيثُ يُصبحُ المكانُ (بغدادُ، دجلةُ، الفراتُ، الفلوجةُ) معادلاً وجودياً للشعبِ، وحيثُ تُعتمدُ تقنيّةُ التراسلِ بين الماديِّ والروحيِّ بوصفِها منهجاً لتجسيدِ المعاناةِ. اعتمدتْ الشاعرةُ على بلاغةِ التكرارِ والاستفهامِ والنداءِ لخلقِ تفاعلٍ وجدانيٍّ مكثّفٍ بين النصِّ والمتلقّي، فهي تُكثرُ من الأسئلةِ كأداةٍ للاحتجاجِ والتفكيرِ والتوثيقِ («لماذا تُدمّرُ بلادي؟»، «لماذا العراقُ حزينٌ؟») لتخرجَ القصيدةُ من الإخبارِ إلى المحاسبةِ الأخلاقيّةِ، وتتحوّلُ الكتابةُ ذاتها إلى فعلِ مقاومةٍ ضدَّ النسيانِ. وفي المستوى الصوريّ، تعتمدُ الموسويّ على تقاطعِ المفارقاتِ البلاغيّةِ بين الحنينِ والفقدِ، بين الأرضِ والنارِ، وتُوظّفُ اللونَ والرائحةَ بوصفهما عواملَ «تجسيمٍ للمأساةِ»؛ فـــ«الوردُ لونُ المرجانِ»، و«المسكُ من دمِها فاحَ»، ما يجعلُ الصورةَ تتجاوزُ التوصيفَ إلى التحويلِ الدلاليّ، حيثُ يتحوّلُ الدمُ إلى رمزٍ للجمالِ المخلِّصِ لا لمشهدِ الذبحِ، وتُعيدُ بذلك الموسويّ كتابةَ الألمِ بمنطقِ الحُبِّ؛ فالأرضُ عندَها ليستْ جغرافيا بل كيانٌ أموميٌّ يُصابُ ويترفُ ويُشفى بالكرامةِ، والشعبُ ليسَ جمهوراً بل كينونةٌ وجوديّةٌ تُحاورُ المجهولَ بحثاً عن معنى جديدٍ للحياةِ. وهنا نلحظُ أنَّ الموسويّ تُعبّرُ عن الألمِ من خلالِ بنيةٍ تكراريّةٍ ذاتِ نَفَسٍ توحيديٍّ، تُستعادُ فيها الأصواتُ والرموزُ من قصيدةٍ إلى أخرى لتشكّلَ شبكةً تأويليّةً (شبكةَ تداخلٍ دلاليٍّ) تربطُ بين الصمودِ الفرديِّ والوعيِ الجمعيِّ، وبذلك تُصبحُ اللغةُ نفسها «ساحةً للمقاومةِ» حيثُ يُستبدلُ السيفُ بالكلمةِ، ويُكتبُ من الرمادِ معنى الخلاصِ. هكذا استطاعتِ الشاعرةُ أن تخلقَ لغةً وطنيّةً مهمورةً بالأملِ، وأن توظّفَ التراثَ العراقيَّ والأسطورةَ السومريّةَ كجذرٍ يستمدُّ منهُ الشّعبُ العراقيُّ ماءَ الصّبرِ ليُزهرَ مجدّداً رغمَ القهرِ والاحتلالِ، فالشّعرُ عندَ الموسويّ ليسَ مجرّدَ صوتٍ بل كينونةٌ في وجهِ العدمِ، ومقاومةٌ ضدَّ الفناءِ، وكلمةٌ تفتحُ من بينِ الحطامِ طريقَ النهارِ نحوَ الوطنِ الحيّ الذي لا يموتُ.

قائمة المصادر والمآخذ

١) أدونيس. (١٩٩٦). **سياسة الشعر**. الطبعة الثانية. بيروت: دارالآداب.

٢) الأشتر، صالح. (١٩٦٠). **في شعر النكبة**. دمشق: جامعة دمشق.

٣) بركات، وائل، غسان السيد و نجاح هارون. (٢٠٠٤). **اتجاهات نقدية حديثة ومعاصرة**. دمشق: مطبوعات جامعة دمشق.

٤) الحسين، قصي. (١٩٧٢م). **الموت والحياة فى شعر المقاومة**. بيروت: دارالرائد العربى.

٥) خضر، عباس. (١٩٦٨م). **أدب المقاومة**. القاهرة: دارالكتاب العربي.

٦) الخطيب، أحمد موسى. (٢٠٠٩م). **وهج القصيد، دراسات في الشعر العربي المقاوم**. الأردن: جامعة البتراء.

٧) داغستاني، منى. (٢٠١٠م). **الملحمية في الشعر العربي الحديث والمعاصر: محمـــود درويـــش أنموذجـــاً**. أطروحة الدكتوراه. دمشق: جامعة دمشق.

٨) درويش، محمود. (١٩٧١). **شيء عن الوطن**. بيروت: دارالعودة.

٩) زعرب، أحمد موسى. (٢٠٠٨م). **الشهادة وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد عام ١٩٦٧م**. رسالة الماجستير. غزة: الجامعة الإسلامية.

١٠) سليماني، صمد. (٢٠١٠م). **دراسة الرومانسية في شعر صلاح عبدالصبور**. رسالة الماجستير. طهران: جامعة تربيت معلم.

١١) شكري، غالي. (١٩٧٩م). **أدب المقاومة**. بيروت: منشورات دارالآفاق الجديدة.

١٢) عطوات، محمد عبدالله. (١٩٩٨م). **الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩١٨ إلى ١٩٦٨**. بيروت: دارالآفاق الجديدة.

١٣) عطية، أحمد محمد. (١٩٧٤م). **أدب المعركة**. بيروت: دار الجيل.

١٤) عطية، أحمد محمد. (١٩٧٧م). **البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة**. دمشق: وزارة الثقافة.

١٥) فاخوري، حنّا. (١٤٢٢ م). **الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث**. قم: منشورات ذوي القربى.

١٦) لقان، إبراهيم. (٢٠٠٧م). ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة دراسة فنية. **رسالة الماجستير**. بى‌جا: جامعة منتوري.

١٧) الموسوي، ساجدة. (٢٠٠٤م). **تباريح سومرية**. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

١٨) الموسوي، ساجدة. (٢٠٠٤م). **يمام الهديل مختارات شعرية للشاعرة ساجدة الموسوي**. دمشق: مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع.

١٩) الموسوي، ساجدة. (٢٠٠٦م). **وييقى العراق**. دمشق: مؤسسة رسلان علاء الدين للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٠) الموسوي، ساجدة. (٢٠١٠م). **بكيتُ العراق**. نسخة بي دي إف.

٢١) مهدي، سامي. (١٩٨٨م). **أفق الحداثة و حداثة النمط ; دراسة في حداثة مجلة " شعر " بيئة و مشروعا و نموذجا**. بغداد: دارالشؤون الثقافية والعامة.

مقالات

١) أبو راشد، عبدالله. (٢٠١٢م). «المسرح في عامل غسان كنفاني»، *جريدة الأسبوع الأدبي*. السنة السادسة والعشرون. العدد ١٣٠٨. ص ٧.

٢) جدوع، نصرة أحميد. (٢٠١٢م). «الأدب والثورة (الأدب العراقي المعاصر أنموذجاً)». *المؤتمر الدولي السابع عشر لجامعة فيلادلفيا*. صص ١-٢٤.

٣) حلواني، فادية المليح. (٢٠٠٥م). «تجليات الثقافة المقاومة في الشعر العربي المعاصر». *مجلة العلوم الإنسانية*. العدد الثامن. صص ٢١٣- ٢٣٣.

٤) صقر، موريس. (١٩٥٥). «وثبة الشعر اللبناني». *مجلة الآداب*. كانون الثاني. السنة ٣. العدد ١. يناير.

٥) الموسوي، ساجدة. (٢٠٢١/٨/٢٥م). «الشعر وُلد مع البحر». *مجلة الاتحاد*.

٦) مهدي، ثامر. (٢٠١٠/٠٤/٠٨). «الشعر في ميزان مظفر النواب». *مجلة الحوار المتمدن*. العدد ٢٩٦٩.

التنظيرات و النقد في الأدب العربي

السنة الثالثة، العدد ١١، خريف ١٤٠٢

صص: ٤٤-٢٣

DOI:١٠,٢٢٠٣٤/JRAL.٢٠٢٥,٥٢٤٤٩٧,١٠٥٩

جلوه‌های پایداری در شعر ساجده موسوی

مسعود باوان پوری [١]

حیدر خالد محمد المکدمی [٢]

(تاریخ دریافت: ۱۴۰۴,۰۲,۲۸، تاریخ پذیرش: ۱۴۰۴,۰۸,۱۸)

چکیده

ادبیات مقاومت شاخه‌ای از ادبیات است که به مضامینی مانند تجلیل از میهن، دفاع از هویت، جنگ، دعوت به مبارزه، افشای چهره خشونت، بی‌عدالتی و دشمن، ستایش آزادی و استقلال، گشودن افق‌های روشن پیروزی، تجسم بی‌عدالتی که مردم در معرض آن هستند و فداکاری‌های مبارزان راه آزادی بر آن استوار است و بزرگداشت یاد شهیدان می‌پردازد. این پژوهش، با رویکرد توصیفی-تحلیلی، به بررسی ویژگی‌های ادبیات پایداری در شعر شاعر عراقی، ساجده موسوی، می‌پردازد. نتایج پژوهش بیانگر آن است که شاعر یکی از کسانی است که از جنگ عراق و ویرانی‌های گسترده آن شگفت‌زده شده بود، بنابراین ترجیح داد آنجا را ترک کند. از اشعار او می‌توانیم دریابیم که او صدای شهدا، آوارگان و گرسنگان ناشی از اشغال آشکار سرزمین عراق توسط آمریکا بود مهم‌ترین ویژگی‌های ادبیات مقاومت که در شعر او یافت می‌شود، تجلیل از میهن، دفاع از هویت، جنگ، دعوت به مبارزه، افشای چهره خشونت، بی‌عدالتی و دشمن، ستایش آزادی و استقلال، گشودن چشم‌اندازهای روشن برای پیروزی، تجسم بی‌عدالتی که مردم در معرض آن هستند و فداکاری‌های مبارزان بر آن استوار است، و بزرگداشت یاد شهدا است.

واژگان کلیدی: عراق، ادبیات پایداری، ساجده موسوی.

---

١. استادیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشکده علوم انسانی، دانشگاه ادیان و مذاهب، قم، ایران، ایمیل: m.bavanpouri@urd.ac.ir (نویسنده مسئول)

٢. کارشناسی ارشد، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشکده علوم انسانی، دانشگاه ادیان و مذاهب، قم، ایران. ایمیل: h.mekdami@yahoo.com